التاريخ الإسلامي
مواقف وعبر

السيرة النبوية

الجزء الخامس

تأليف
دكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة

السيرة النبوية
٥

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ١٩٩٧/٥٦٣٢
الترقيم الدولى
977 - 253 - 151 - 8

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

١ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
ت : ٤٩٠١٩١٤ - فاكس : ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة ت : ٣٨٣٢٧٤٧

دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع

حى السلامة - شارع عبد الرحمن السديرى - مركز الزومان التجارى
ص.ب : ٤٢٣٤٠ - جدة : ٢١٥٤١ هاتف / فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مواقف وعبر

ما بين بدر وأُحد

١ – مثل من الصبر الجميل

(هجرة زينب بنت رسول الله ﷺ)

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله ﷺ قد أخذ عليه[١] ، أو وَعد رسولَ الله ﷺ ذلك ، أن يُخَلِّي سبيلَ زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه ، ولم يَظْهَر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيُعْلَم ماهو ، إلا أنه لمّا خرج أبو العاص إلى مكة وخُلّي سبيلُه ، بعث رسولُ الله زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يَأجَجَ[٢] حتى تمرّ بكما زينبُ ، فتصَحباها حتى تَأتياني بها ، فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بَدْر بشهر أو شَيْعه[٣] فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللّحوق بأبيها فخرجت تجهَّز .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر قال : حُدِّثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهّز بمكة للُّحوق بأبي لقيتْني هندُ بنت عُتبة ، فقالت : يابنت محمد، ألم يبلغني أنّك تريدين اللحوقَ بأبيك؟ فقلت : ما أردْتُ ذلك ، فقالت : أي ابنة عمي ، لاتفعلي ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاع ممَّا يرْفُق بك في سفرك ، أو بمال تَتبلَّغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجَتك ، فلا تَضْطَني منّي[٤] ، فإنه لايدخل بين النساء ما بين الرجال .

---

(١) أي على صهره أبي العاص بن الربيع ، وكان آنذاك مايزال على كفره وقد أسر ببدر كما سبق ثم أسلم كما سيأتي .

(٢) هو مكان قرب مكة بينه وبين التنعيم ميلان .

(٣) أي نحوه .

(٤) أي لاتستحيي مني .

قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكني خفتُها ، فأنكرتُ أن أكون أُريد ذلك ، وتجهّزت .

فلما فرغتْ بنتُ رسول الله ﷺ من جهازها قَدَّم لها حَمُوها كنانةُ بن الرّبيع أخو زَوجها ، بعيراً ، فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهارًا يقود بها ، وهي في هودج لها . وتحدّث بذلك رجالٌ من قريش ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوى ، فكان أول من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى الفهْري ، فروّعها هبَّار بالرمح ، وهي في هَوْدجها ، وكانت المرأةُ حاملاً - فيما يزعمون - فلما ريعَتْ طَرحتْ ذا بطْنها وبرك حموها كنانةُ ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لايدْنو مني رجلٌ إلا وضعتُ فيه سهمًا ، فتكرْكر الناسُ عنه .

وأتى أبو سفيان في جلّة من قُريش ، فقال أيها الرجل ، كفّ عنا نَبْلك حتى نكلّمك ، فكفّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تُصبْ ، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وماداخل علينا من محمد ، فيظنّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصيبتنا التي كانت ، وأنّ ذلك منا ضَعف ووَهن ، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثُؤْرة [1] ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدّث الناسُ أن قد ردَدْناها ، فسُلَّها سرّا وألْحقها بأبيها .

قال : ففعل ، فأقامت ليالي ، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها

---

(١) أي طلب ثأر وإدراكه .

ليلاً حتى أسلمها إلى زيـد بـن حـارثة وصاحبه فقَدما بها على رسـول الله ﷺ .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتْهم هندُ بنت عتبة، فقالت لهم:

أفي السَّلْم أعْيَارٌ جَـفاءً وَغِـلْظَةً ... وفي الحرب أشباه النِّساء العَوارك[1]

وقال كنانةُ بن الربيع في أمر زَينب، حين دَفعها إلى الرجلين:

عَجبْتُ لهبّار وأوْبـاش قَـوْمه ... يُـريدون إخـفاري ببنت محـمد

ولست أبالي ماحَيِيتُ عديدهم ... وما استجمعت قبضًا يدي بالمهند[2]

وأخرجه الإمام أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها، فقالوا: نعم.

ثم ذكر نحو رواية ابن إسحاق مختصرا [3].

وهذا موقف عظيم من رسول الله ﷺ، فقد كان هو الحاكم والآمر والناهي، وكان باستطاعته أن يأمر بفك أسره ورد تلك القلادة من غير أن يعرض الأمر لأخذ موافقة الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الله تعالى

---

(١) الأعيار جمع عير بفتح العين وهو الحمار.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٤٨ - ٣٥٢.

(٣) سنن أبي داود، رقم ٢٦٩٢، الجهاد (٣/ ١٤٠).

اصطفى نبيه ﷺ ليكون ممثلا للقمة في مكارم الأخلاق، حيث إنه القدوة العليا لأمته في تنفيذ شريعة الله تعالى .

وإذا كان هذا السلوك منه وهو نبي معصوم فكيف بالمسئولين من البشر العاديين إذا استبدوا بالأمر من غير مشورة ولا اعتبار لأصول السياسية الشرعية ؟ !

في هذا الخبر بيان لما كان يتعرض له الصحابة رضي الله عنهم من الأذى والإرهاب من الكفار ، فقد نال ذلك حتى النساء مع أن العرب كانوا يحترمون النساء ويترفعون عن أذيتهن .

لقد تعرضت زينب بنت رسول الله ﷺ لذلك الأذى والإرهاب على يد أولئك السفهاء الجفاة .

وإن كل ما يصيب أحد أفراد الأسرة النبوية يعتبر إيذاء لرسول الله ﷺ ، فكم تحمَّل من الأذى في نفسه وأسرته ! .

ولقد كان أولئك الذين خرجوا لصد زينب رضي الله عنها جبناء في غاية النذالة حيث أظهروا شجاعتهم في صد امرأة لاحول لها ولاقوة .

ولقد أجادت هند بنت عتبة في وصفهم حيث قالت :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك

كما أن لها موقفا مشكوراً حيث عرضت الخدمة والمال على زينب لما سمعت بعزمها على الهجرة .

وموقف شهامة يذكر لكنانة بن الربيع حيث تحدى أولئك الجبناء أن يقتربوا منه فتراجعوا بينما أقدم أحدهم على ترويع امرأة في هودجها .

* * *

٢ – معجزة نبوية وموقف إيماني –
(مجيء عمير بن وهب لقتل النبي ﷺ)

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجْر – بيسير [١] ، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال : فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ في العيش بعدهم خير ، قال له عمير : صدقت والله أما والله لولا دين عليَّ ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله . فإن لي قبَلَهم علةً ، إبني أسيرٌ في أيديهم ، قال : فاغتنمها صفوان ، وقال : عليَّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم مابقوا ، لايسعني شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم عني شأني وشأنك ، قال : أفعل .

ومن هذا المشهد تتكشف لنا بعض معالم أهل الجاهليه من التعصب الأعمى لما هم عليه من الباطل ، والدفاع عنه حتى بأنفسهم وأموالهم . إن وجودهم وكيانهم معلق بهذا الباطل ، وحيث إنهم لايتصورون غير هذه الحياة الدنيا فإن عقولهم القاصرة تتشبث بهذا الباطل وتستميت في الدفاع عنه .

قال : ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ له وسُمَّ ، ثم انطلق حتى قدم

(١) أي بعد بدر بقليل .

المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرَّش بيننا [1] وحرزنا للقوم يوم بدر [2] .

وهذه فراسة صادقة من عمر رضي الله عنه وهو الذي اشتهر بالإصابة في الفراسة ، فقد قرأ في وجه الرجل وهو قادم أنه لم يقدم مهتديًا وإنما قدم معتديا .

لقد خرج عمير من مكة إلى المدينة وهو يحمل هذا الهدف السيء .. لقد كان ينوي إطفاء المشعل الوهاج الذي أنار الله به جنبات الأرض ، وقبل ذلك خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهو يريد بسط ذلك النور الساطع في الأرض ، فما أبعد ما بين الرحلتين ! وما أعظم التباين بين الهدفين ! .

قال : ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يانبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : أدخله علي ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّبه بها [3] ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

---

(١) أي أغرى بنا أعداءنا .

(٢) يعني قدر عددهم .

(٣) يعني طوق بها عنقه .

وإننا لانستطيع تجاوز هذا النص حتى نقف عند قول النبي ﷺ . أدخله علي ، بالرغم من كونه من ألدِّ أعدائه وقد جاء متوشحًا سيفه ، فلم يأمر بتقييده ولاحتى بنزع السلاح منه ، وهذا منتهى الجرأة والشجاعة وأعلى درجات اليقين بالله تعالى والتوكل عليه .

كما أنه مما يعجب المتأمل هذه الاحتياطات المؤكدة التي قام بها عمر رضي الله عنه لحماية رسول الله ﷺ .

قال : فلما رآه رسول الله ﷺ ، وعمر آخذ بحمالة سيفه قال : أرسله ياعمر - يعني أطلقه - ثم قال : ادْنُ ياعمير ، وفي هذا ملاطفة حانية ومعاملة سامية حتى مع الأعداء الذين ظهرت بوادر كيدهم ، ومحاولة الغدر منهم ، وماذلك بغريب على صاحب المقام الرفيع والخلق الكريم ﷺ وهو الذي أخذ بمجامع القلوب ، وأرغم أعداءه على التواضع له لابقوة السلطان ، وإنما برقة الجنان وعذوبة البيان .

قال : فدنا ، ثم قال : انعَموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، فقال : أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث عهد .

ولنا وقفة تأمل أمام هذا الرد الكريم من رسول الله ﷺ ، فإنه لم يحتمل بروز شعار من شعارات الجاهلية يزاحم شعارًا من شعارات الإسلام ، فإن معالم الإسلام الظاهرة يجب أن تكون بارزة في المجتمع الإسلامي ، وأن يقوم المسلمون بالنكير على معالم الجاهلية حتى يقضوا عليها لئلا تصبح عرفا سائدا في يوم من الأيام ، ولقد تجاوز النبي ﷺ عن

كثير من أخطاء بعض الوفود الذين لم يُسلموا أو الذين أسلموا حديثا ما دامت هذه الأخطاء في حدود الالتزام الشخصي ، أما أن تصل إلى رفع شعارات الجاهلية فكانت المواجهة والمسارعة إلى تقويم الخطأ وإبراز شعارات الإسلام ، ولهذا المقصد بيَّن رسول الله ﷺ لهذا الرجل تحية المسلمين مع أنه لم يدخل في الإسلام بعد ، وفي هذا عبرة للمسلمين كي يتمسكوا بهذه التحية الكريمة ولايضعفوا شخصيتهم بتقليد أعداء الإسلام فإن الجاهلية هي هي وإن اتسمت بالرقي المادي والهيمنة في الأرض .

قال ابن إسحاق رحمه الله : قال - يعني رسول الله ﷺ : فما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه[1] ، قال : فما بال هذا السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا ؟ قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ماجئت إلا لذلك .

لقد كان عمير يخفي في نفسه سراً خطيراً ، وكان مدفوعا إلى أمر لا مثيل له في التخريب والتدمير ، إنه يريد إطفاء الشعلة الوهاجة التي أنار الله بها ظلمات الأرض ، وهو لايدري إلى تلك الساعة أنه يعيش في ظلام حالك لأنه أعشى البصيرة مطموس الإدراك ، ولأن عقله السليم لايزال مغمورا بضلالات الجاهلية التي تحول بينه وبين التفكير السَّويّ .

قال : قال رسول الله ﷺ : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية

---

(١) يعني ابنه .

بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

وهذه معجزة من معجزات النبي ﷺ الكثيرة التي تدل دلالة قاطعة على أنه نبي يتلقى الوحي من الله تعالى . إذ أن هذا الأمر كان سراً بين صفوان وعمير ، وكانا حريصين كل الحرص على كتمانه لأن إفشاءه يعني فشل خطتهما التي اتفقا عليها . ولما كان يوقن به عمير تلك الساعة من أن الأمر لايزال سراً وأن صفوان لايمكن أن يبوح به لأحد ، لأنه أحرص منه على نجاح الخطة فقد سرى في نفسه كلام النبي ﷺ سريان الماء في الأعواد اليابسة فعاد حيًا بعد الموت كما يعود النبات أخضر يهتز بالحياة ، فأعلن إسلامه .

قال : قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نكذبك بما تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فو الله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق [1] ، فقال رسول الله ﷺ : فقِّهوا أخاكم في دينه ، وأقرؤوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ، ففعلوا .

وهكذا شرح الله قلب عمير للإسلام ونطق بالشهادتين ، وتحوَّل في ثواني معدودات إلى رجل آخر ، لقد كان رسول الله ﷺ قبل هذه الثواني أبغض رجل إليه فعاد بعدها أحب رجل إليه على الإطلاق ، وكان الإسلام أبغض دين عنده فعاد عنده هو الدين الحق الذي لايمكن أن

(١) زاد الواقدي في روايته « وفرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لخنزير كان أحب إلي منه حين طلع ، وهو الساعة أحب إلي من بعض ولدي » -مغازي الواقدي ١/ ١٢٧ - .

يقاس به أي دين آخر . وكانت أوهام الجاهلية تعشش في مخه وتحجب عقله السليم فتبخرت هذه الأوهام وحلت محلها حقائق الإسلام التي تدفع العقل نحو النمو السليم وتنطلق به نحو التفكير في الآفاق العالية .

وفي مقابل ذلك نجد أنه في لحظات أصبح أخا للمؤمنين بعدما كان قبلها من ألدِّ أعدائهم ، واضمحلَّ حالاً من قلوبهم كل ما كان مستكنًا فيها من بغضه وعداوته ، وإن كان قبل ذلك قد فعل مافعل بالمسلمين وهذا يعتبر من عظمة الإسلام ومن مزايا الأخوة الإسلامية .

وفي أمر النبي ﷺ بإطلاق أسيره بتلك السرعة مثل من بساطة الحكم الإسلامي وخلوه من التعقيدات ، ولو حصل مثل هذه الواقعة في عصرنا هذا لكان إطلاق الأسير يحتاج إلى معاملة معقدة .

وما أكثر ما يواجه الداخلين في الإسلام اليوم من عقبات وأزمات ! قال : ثم قال : يارسول الله إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله ﷺ ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم ، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم .

وهذا يعتبر من السمو نحو الآفاق العالية التي أصبح يتذوقها بعد دخوله في الإسلام ، ولقد كان إيمانه قويا سريع النمو حيث أقدم على المطلب الذي يشكل خطراً على حياته ، فهو سيذهب إلى قومه الذين كان معهم قبل ذلك في السراء والضراء ، والذين كانوا يؤمِّلون منه أن يقصم ظهور المسلمين فإذا به يعود إليهم مؤمنا بالدين الذي يحاربونه والذي

ذهب من أجل القضاء عليه ، ويجهر بإيمانه ويدعوهم إلى هذا الدين .

قال : فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة ، وكان صفوان بن أمية - حين خرج عمير بن وهب - يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لايكلمه أبداً ، ولاينفعه بنفع أبدا .

وهذا مثل من أمثلة التعصب الأعمى نحو المبادئ الموروثة من غير نظر ولا إعمال للفكر في مدى موافقتها للحق أو مخالفتها إياه ، فكان النظر السليم يقتضي من صفوان أن يفكر طويلا في هذه العاقبة التي آل إليها عمير بن وهب ليرى ما الذي دفعه إلى الإسلام وهو الذي ذهب للقضاء عليه ثم يحكم بعقله المجرد من اتباع الهوى .

قال : فلما قدم عمير مكة أقام يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديداً [١] ، فأسلم على يديه ناس كثير [٢] .

* * *

---

(١) لعل المراد أنه كان يجهر بدعوته وذلك أبلغ الأذى الذي يوجّه لقريش آنذاك لقرب عهدهم بمصاب بدر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٨ - ٣٦٢ .

وذكر هذا الخبر الحافظ ابن حجر في ترجمة عمير بن وهب من خبر موسى بن عقبة عن الزهري ، وقال : وهكذا ذكره أبو الأسود عن عروة مرسلا ، قال : وجاء من وجه آخر موصولا أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره ، وقال ابن منده : غريب لانعرفه عن أبي عمران إلا من هذا الوجه .

قال الحافظ : وأخرجه الطبراني من طريق محمد بن سهل بن عسكر عن عبد الرزاق بسنده ، فقال : لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك . - الإصابة ٣/ ٣٦-٣٧-رقم ٦٠٦٠- .

٣ - غزوة بني سُلَيم بالكُدْر -

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة [يعني من غزوة بدر] لم يُقم بها سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم . قال : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا [١] .

والموقف الجليل في هذه الغزوة هو في خروج النبي ﷺ للجهاد ولم يمض على إقامته بعد بدر غير سبع ليال ، مع أنه كان باستطاعته أن يرسل سرية تنوب عنه ، وهذا مثل من أمثلة كثيرة تدل على اهتمام النبي ﷺ الكبير بالجهاد وأنه كان يقصد دفع أمته بكل طاقتهم نحو ذلك .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٢ .

٤ – موقف إيماني فدائي
(سالم بن عمير وقتل أبي عفك)

قال محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى : حدثنا سعيد بن محمد ، عن عُمارة بن غَزية ، وحدثناه أبو مُصْعَب إسماعيل بن مُصْعب بن إسماعيل بن زيد بن ثابت ، عن أشياخه ، قالا : إنَّ شيخًا من بني عمرو بن عَوْف يُقال له أبو عَفَك ، وكان شيخًا كبيرًا ، قد بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النبي ﷺ المدينة ، كان يُحرض على عَداوة النبي ، ولم يدخل في الإسلام .

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر رجع وقد ظفَّره الله بما ظفَّره ، فحسده وبغى فقال :

قد عشتُ حينًا وما إن أرى	من الناس دارًا ولا مَجْمعا
أجَمَّ عُقولاً وآتى إلى	مُنيب سراعًا إذا ما دَعا [1]
فَسَلَّبَهم أمْرَهم راكبٌ	حَرام حَلال لشَتَّى معا [2]
فلو كان بالمُلْك صَدَّقْتُمُ	وبالنَّصْر تابعتُمُ تُبَّعا

فقال سالم بن عُمير ، وهو أحد البكائين من بني النجار : عليّ نذرٌ أن أقتل أبا عَفَك أو أموت دونه . فأمهل فطلب له غرَّةً ، حتى كانت ليلةٌ

---

(١) جاء في رواية ابن إسحاق بعد هذا البيت قوله :

مِنَ أولاد قيلة في جمعهم يهدّ الجبال ولم يخضعا

وأولاد قيلة هم الأوس والخزرج نسبة إلى أمهم قيلة .

(٢) يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بذلك يحرضهم على الكفر به .

صائفةٌ ، فنام أبو عفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف ، فأقبل سالم بن عُمير ، فوضع السيف على كبده حتى خش في الفراش ، وصاح عدو الله فثاب إليه أناس ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزله وقبروه . وقالوا : من قتله ؟ والله لو نعلم من قتله لقتلناه به ! فقالت النَّهدية في ذلك ، وكانت مسلمة هذه الأبيات :

تُكَذِّبُ دين الله والمرء أحْمَدا   لعمرُ الذي أمْناك[1] إذْ بئْس مايُمني

حباك حنيفٌ آخر الليل طعنةً   أبا عفك خذها على كبر السن

فإني وإن أعلم بقاتلك الذي   أباتك حلس الليل من إنس او جنِّي

فحدثني معن بن عمر قال : أخبرني ابن رُقَيش قال : قُتل أبو عفك في شوال على رأس عشرين شهراً[2] .

فهذا موقف فدائي من سالم بن عمير النجَّاري رضي الله عنه أراد به عزة الإسلام والمسلمين ، والانتقام من ذلك الحاقد الباغي أبي عفك الذي أراد أن يفرق شمل المسلمين وأن يصد عن سبيل الله تعالى .

ولما كانت الدعوة الإسلامية فَتيَّة في المدينة ، ومايزال المسلمون يعانون من هجمات اليهود والمنافقين المخذِّلة المنفرة ، كان لابد من تلقين أولئك الذين يثيرون الناس بأشعارهم ضد الإسلام دروسا بليغة رادعة لكل من تسوِّل له نفسه أن يُرْخي لها العنان كي تقول ما يمليه عليها الهوى المنحرف والحقد الأسود الدفين .

---

(١) أي منَّاك وخدعك .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ١٧٤ - ١٧٥ .

وأخرجه ابن إسحاق وذكر نحوه - سيرة ابن هشام ٤/ ٤١١ .

ولقد كان الشعر له منزلة كبيرة عند العرب ، وكانوا يستخدمونه في إثارة الحروب وإسقاط الزعامات القبلية أو تثبيتها .

ولم يكن أبو عفك هذا من النوع المتجرد من الهوى ، الذي ينشد الحق ويحكِّمه إذا وجده ، بل كان من أصحاب الهوى المنحرف الذي يرى الحق كل الحق هو فيما عليه الآباء والأجداد ، وهذا لايجدي معه الحوار الهادف الذي يخضع لمسلَّمات العقل السليم لأنه على مذهب الشاعر العربي القائل :

وما أنا إلا من غُزَيَّة إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

بل إن أبا عفك فاق هذا المتعصب للتقاليد القبلية ، حيث رشدت أكثر قبيلته فلم يرشد وإنما ظل على غوايته وتجاوز ذلك إلى التحريض على الحق وأهله .

وموقف جليل لتلك المرأة النهدية التي قرَّعت ذلك الباغي الحاقد ووبخته بشعرها الجيد ، أنْ كذَّب رسول الله ﷺ وحَرَّض عليه ، كما أشادت بسالم بن عمير الذي أراح البلاد والعباد من ذلك الحاقد الحاسد وانتصر لله تعالى ولرسوله ﷺ .

* * *

٥ – موقف إيماني فدائي آخر –
(عمير بن عدي وقتل عصماء بنت مروان)

ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى حديث الحارث بن الفضيل عن خبر عمير بن عدي الخَطْمي وما قام به من قتل عصماء بنت مروان التي كانت تعيب الإسلام وأهله بقولها :

أطعتُم أتاويَّ من غيركم   فلا من مُراد ولا مَذحج [١]

تُرَجُّونُه بعد قتل الرُّءوس[٢]   كما يُرتجى مَرَق المُنضج

ألا أنفٌ يبتغي غِرّة   فيقْطَع من أمل المُرتجى [٣]

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : ألا آخذٌ لي من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عُميرُ بن عديّ الخطميّ ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، إني قد قتلتها . فقال : نصرت الله ورسوله ياعمير ، فقال : هل عليّ شيء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عنزان [٤] .

فرجع عُمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجُهم [٥] في شأن

---

(١) أتاويَّ أي غريب بعيد النسب .

(٢) أي بعد قتل الأشراف ، وذلك في معركة بعاث حيث قتل أكثر سادة القبلتين الأوس والخزوج .

(٣) أنف أي حميُّ الأنف ، تريد بذلك تحريض قومها على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أي أمر قتلها هين لايترتب عليه شيء .

(٥) أي اضطرابهم .

بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عُمير بن عديّ من عند رسول الله ﷺ ، قال : يابني خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدوني جميعًا ثم لاتنظرون .

فذلك اليومُ أولُ ما عز الإسلام في دار بني خطمة ، وكان يستخفي بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بني خطمة عُمير بن عديّ ، وهو الذي يُدْعَى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم - يوم قتلت ابنة مروان - رجال من بني خطمة ، لما رأوا من عزّ الإسلام .

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت رضي الله عنه أجاب تلك المرأة بقوله :

بنُوا وائل وبنُو واقف   وخطمةُ دون بني الخزرج
متى مادَعَتْ سفهًا ويحها   بعَوْلَتها [1] والمنايا تجى
فهزَّت فتى ماجداً عرقه   كريم المداخل والمخرج
فضرَّجها من نجيع الدما   ء بعد الهدوّ فلم يحرج [2][3] .

وأخرجه محمد بن عمر الواقدي بنحوه وزاد :

---

(١) أي بصيحتها .

(٢) أي لم يأثم وهو يشير إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاينتطح فيها عنزان » . وزاد الواقدي بعد هذا البيت :

فأوردك الله برد الجنان   جذلان في نعمة المولج

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٤١٢ - ٤١٤ .

فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال : إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب ، فانظروا إلى عُمير بن عديّ . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشدد في طاعة الله . فقال : لاتقل الأعمى ، ولكنَّه البصير .

فلما رجع عُمير من عند رسول الله ﷺ وجد بنيها في جماعة يدفنونها ، فأقبلوا إليه حين رأوه مُقبلاً من المدينة ، فقالوا : ياعمير ، أنت قتلتها ؟ فقال : نعم ، فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون ، فو الذي نفسي بيده ، لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم [1] .

فهذا السيد الشهم الشجاع عمير بن عدي الذي أفقده الله تعالى البصر وأنعم عليه بالبصيرة النافذة ، قد ساءه وآلمه وضع تلك المرأة الحاقدة الباغية التي شَرقت بالإسلام وغُصَّت برجاله الغُرِّ الميامين ، فتحولت تلك الغصص التي امتلأ منها قلبها رعبا وحقدا إلى أبيات من الشعر نفثت فيها حقدها ، وأمّلت بذلك أن تصل إلى مقصودها من قتل النبي ﷺ والقضاء على دعوته .

ولقد كان من أثر ذلك الشعر على النبي ﷺ أن رغب في الانتقام منها لما يعلمه من أثر لذلك الشعر في تثبيط قومها عن الإسلام ، خصوصا وأن انتشار الإسلام في قومها بني خطمة بطيء ، والكفر فيهم قوي ، حتى

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٧٢ - ١٧٤ .

وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذا الخبر في ترجمة عمير بن عدي وقال عنه : هو البصير الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوره في بني واقف - الإصابة٣/ ٣٤، رقم٦٠٤٥

اضطر بعض من أسلم منهم إلى كتمان دينه ، فهذا الشعر وأمثاله في مثل ذلك الواقع السيء يكون له أثر بالغ في الصد عن الإسلام .

فكان أن تصدى لإسكات ذلك الصوت النشاز وقطع عروق دعوة الباطل البطل الشجاع عمير بن عدي الخطمي فأقدم على قتل تلك المرأة مع ما يكتنف ذلك من خطر بالغ على نفسه حيث إنه فاقد البصر ، ولما يحيط بتلك المرأة من رجال يحمونها على رأسهم أبناؤها الخمسة الذين تجرأت بهم وبمن ظل على كفره من قومها على ذلك القول الشنيع الهابط .

ولقد بلغت به شجاعته وقوة إيمانه أن قام بإعلان ما قام به من ذلك وتحدى قومه حينما سألوه عن قتلها بذلك القول القوي البليغ « نعم ، فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون ، فو الذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم » .

وهنا نلمس نوعا من التأييد الإلهي ببث الرعب في قلوب الكفار والمنافقين حينما يقفون أمام أقوياء الإيمان ، فهؤلاء جماعة من الرجال ، وكلهم يملكون السلاح ، وهم أبناء الحروب ورثوها كابرا عن كابر ، ومع ذلك يقفون خاضعين صاغرين أمام تهديد رجل أعمى .

لكنه وإن كان أعمى البصر فإنه يملك الجوهرة الغالية التي يفقدونها جميعا ، ألا وهي الإيمان الصادق واليقين الراسخ ، الذي يكلِّله حضور القلب مع الله تعالى وشعور العبد بأن الله تعالى معه بنصره وتأييده مادام عبده معه بقلبه وقالبه .

ويفوز هذا البطل الشامخ بثناء النبي ﷺ عليه أمام أصحابه ، ومن

ظفر بثنائه فقد ظفر بحبه ، وهل تطمع نفس المؤمن الصادق إلى شيء كما تطمع إلى حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ ؟ ! .

ولقد كان من أثر ما قام به هذا المؤمن المجاهد أن انتشر الإسلام وعز المسلمون في دار قومه بني خطمة بعد عمله الجليل ، فأظهر الإسلام من كانوا يخفون إسلامهم ، وأسلم رجال كانوا يجاهرون بكفرهم لَمَّا رأوا عزة الإسلام في قومهم .

فكم قدَّم هذا المؤمن القوي للدعوة الإسلامية آنذاك من خدمة ودعم رضي الله عنه وأرضاه .

ولقد سجل حسان بن ثابت رضي الله عنه الثناء عليه بشعره ، في الوقت الذي سفَّه فيه ماقامت به تلك المرأة وقومها من الصد عن الإسلام ومحادَّة رسول الله ﷺ .

وهذا موقف يذكر لحسان بن ثابت في ذلك الوقت الذي كان الصراع فيه بين الإسلام والوثنية على أشدِّه فرضي الله عنه وأرضاه .

* * *

٦ - مواقف عالية في الغيرة على المحارم
وإعزاز الدين والبراء من المشركين -
(غزوة بني قَيْنُقَاع)

قال محمد بن عمر الواقدي : غزوة قينقاع يوم السبت للنصف من شوال ، على رأس عشرين شهراً ، حاصرهم النبي ﷺ إلى هلال ذي القعدة .

حدثني عبد الله بن جعفر ، عن الحارث بن الفُضَيل ، عن ابن كعب القُرظي ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وَادَعَتْه يهودُ كلُّها ، وكتب بينه وبينها كتابا . وألحق رسول الله ﷺ كل قوم بحلفائهم ، وجعل بينه وبينهم أمانا ، وشرط عليهم شروطا ، فكان فيما شرط ألا يُظاهروا عليه عدواً .

فلما أصاب رسول الله ﷺ أصحاب بدر وقدم المدينة ، بَغَتْ يهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم فجمعهم ، ثم قال : يامعشر يهود ، أسلموا ، فو الله إنكم لتعلمون أني رسول الله ، قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قُريش . فقالوا : يامحمد ، لايغرنك من لقيت ، إنك قهرت قومًا أغماراً [١] . وإنا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمنَّ أنك لم تُقاتل مثلنا [٢] .

وهذا مثل من أمثلة غدر اليهود ، وإهدارهم القيم العليا ، حيث لم يمض على معاهدتهم رسول الله ﷺ إلا سنة وشهور ، كما أن هذا الخبر

---

(١) أي جاهلين تنقصهم التجارب الحربية .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ١٧٦ .

يبين صفة من صفات اليهود وهي اعتدادهم بأنفسهم ومحاولة رفع مكانتهم مهما كان مقدار ضعفهم ، وتحقير الآخرين مهما كان مقدار قوتهم ، وهذه من صفات أصحاب النفوس المريضة الذين عمرت قلوبهم برذائل الأخلاق .

ولقد أوردوا أنفسهم بهذا الخلق الديني المُنْبَني على مرض القلوب موارد الهلاك فكانت عاقبتهم إما الإجلاء والحرمان من الأموال ، وإما القتل وسبي النساء والذراري كما سيأتي .

قال الواقدي : فبيناهم على ماهم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد ، جاءت امرأةٌ نزيعةٌ[1] من العرب تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع ، فجلست عند صائغ في حُلي لها ، فجاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها ولاتشعُر ، فخَلَّ درْعها إلى ظهرها بشوكة ، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها . فقام إليه رجلٌ من المسلمين فاتبعه فقتله .

فاجتمعت بنو قينقاع ، وتحايشوا فقتلوا الرجل ، ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ وحاربوا ، وتحصنوا في حصنهم ، فسار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم ، فكانوا أول من سار إليه رسول الله ﷺ ، وأجلى يهود قينقاع ، وكانوا أول يهود حاربت[2] .

وهذا الخبر يبين لنا انحطاط اليهود في الجانب الأخلاقي ، وتدني

---

(١) أي قد انتقلت من قبيلة إلى أخرى من العرب .

(٢) وأخرج خبر هذه المرأة ابن هشام من حديث عبد الله بن جعفر عن أبي عون - سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٧ .

مستواهم في الغيرة على المحارم ، مع أنهم كانوا يعيشون بين ظهراني العرب الذين كانوا يهتمون بالأعراض اهتماما كبيرا إلى حد أنهم يستسهلون سفك الدماء في سبيل المحافظة على الأعراض ، فكيف باليهود إذا عاشوا في مجتمع لاتفرض أعرافه الاجتماعية على أفراده احترام الأعراض ؟ !

وإن ما قام به ذلك الرجل المسلم من قتل ذلك اليهودي المعتدي على المرأة وعلى أخلاق المجتمع المسلم يعتبر مثلا على الغيرة الإسلامية التي كانت موجودة عند العرب فزادها الإسلام رسوخا ونظمها فيما يتفق مع الأحكام الشرعية الحكيمة .

قال الواقدي : فحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (١) ، فسار رسول الله ﷺ بهذه الآية .

قالوا : فحصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب . قالوا : أفننزل وننطلق ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا ، إلا على حُكمي ! فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم فرُبطوا . قال : فكانوا يكتفون كتافًا .

قالوا : واستعمل رسول الله ﷺ على كتافهم المنذر بن قُدامة

---

(١) الأنفال / ٥٨ .

السَّلمي [1]. قال : فمرّ بهم ابن أبَيّ وقال : حلّوهم ! فقال المُنذر : أتحلون قوماً ربطهم رسول الله ﷺ ؟ والله لايحلهم رجلٌ إلا ضربتُ عنُقه .

فوثب ابن أُبي إلى النبي ﷺ ، فأدخل يده في جنب درع النبي ﷺ من خلفه فقال : يامحمد ، أحسن في مواليَّ ! فأقبل عليه النبي ﷺ غضبان ، مُتغيِّر الوجه ، فقال : ويلك ، أرسلْني ! فقال : لا أرسلك حتى تُحسن في مواليَّ ، أربع مئة دارع وثلاث مئة حاسر ، منعوني يوم الحدائق ويوم بُعاث من الأحمر والأسود ، تُريد أن تَحْصدهم في غداة واحدة ؟ يامحمد ، إني امرُؤٌ أخشى الدوائر ! قال رسول الله ﷺ : خلوهم ، لعنهم الله ، ولعنه معهم .

فلما تكلَّم ابن أُبي فيهم تركهم رسول الله ﷺ من القتل ، وأمر بهم أن يُجْلَوا من المدينة ، فجاء ابن أُبي بحلفائه معه ، وقد أخذوا بالخروج ، يُريد أن يُكلم رسول الله ﷺ أن يُقرّهم في ديارهم ، فيجد على باب النبي ﷺ عُوَيم بن ساعدة [2] ، فذهب ليدخل فردّه عُوَيم وقال : لاتدخل حتى يأذن رسول الله لك . فدفعه ابن أُبي ، فغلَّظ عليه عُويم حتى جحش وجه ابن أُبي الجدارُ فسال الدم [3] .

(1) هو المنذر بن قدامة الأوسي الأنصاري من بني غنم بن السَّلم بن مالك بن الأوس - الاستيعاب ٣/ ٤٤٠ - .

(2) هو عويم بن ساعدة الأنصاري الأوسي ، من السابقين إلى الإسلام في المدينة ، شهد العقبة وبدراً - الإصابة ٣/ ٤٥ ، رقم ٦١١٤ - .

(3) مغازي الواقدي ١/ ١٧٦ - ١٧٩ .

وأخرج محمد بن إسحاق خبر حصار بني قينقاع وشفاعة ابن أبي وإجلائهم - سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٧ - ٤٩٩ - ، وقد حسن الحافظ إسناده - فتح الباري ٧/ ٣٣٢- وأخرجه الإمام أبو داود مختصرا ، رقم ٣٠٠١ ، كتاب الخراج ، باب ٢٢ .

ومن هذا الخبر تتبين لنا العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين حيث وقف عبد الله بن أبي مع أولئك اليهود ، وتمسك بحلفهم ، ولاغرابة في ذلك فهم جميعا مشتركون في الكفر بالإسلام وعداوة النبي ﷺ .

كما يتبين لنا صفة أخرى من صفات المنافقين وهي أنهم كانوا لا يتوقعون انتصار الإسلام في النهاية بل كانوا يرجون زواله وانكسار شوكة المسلمين ، ولذلك قال عبد الله بن أبي : إني امرؤ أخشى الدوائر ، فقد كا ن يخشى زوال الإسلام ورجوع العصبية بين الأوس والخزرج كما هي عليه قبل الإسلام ، فهو لذلك يريد أن يستبقي حلفاءه من اليهود .

ويكشف لنا هذا الخبر عن حكمة رسول الله ﷺ البالغة حيث عدل عن قتل اليهود الذين نقضوا العهد تفاديًا لحدوث فتنة في مجتمع المؤمنين حيث إن بعض الأنصار كانوا حديثي عهد بالإسلام ويُخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي لسمعته الكبيرة فيهم ، ولذلك لما تقادم العهد بهم ، ونقض بنو قريظة العهد أقدم على قتلهم ، حينما أمن من حدوث الفتنة في مجتمع المسلمين بسببهم .

وفي مقابل هذه الصورة القاتمة من المنافقين في ولائهم مع اليهود نجد صورة مضيئة لرجل من الأنصار له من حلف بني قينقاع في الجاهلية مثل ما لعبد الله بن أبي ولكنه تبرأ منهم وقطع علاقته بهم وآثر الله ورسوله والمؤمنين .

يقول ابن إسحاق رحمه الله : وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي ابن سلول وقام دونهم .

قال : ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بني عوف ، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ من حلفهم ، وقال : يارسول الله أتولّى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

قال ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ قال : أي كعبد الله بن أُبي وقوله إني أخشى الدوائر ﴿ **يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ وذكر الآيات إلى أن قال : وذكر لتَولّي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرُّئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾(١) [**المائدة : ٥٦**] .

كما أننا نجد في هذا الخبر موقفين كريمين لرجلين من الأنصار أحدهما المنذر بن قدامة السَّلمي الأوسي رضي الله عنه وذلك في مجابهته القوية لعبد الله بن أَبَيّ الذي أمر بحل كتاف اليهود ، فقال المنذر : أتحلُّون قوما ربطهم رسول الله ﷺ ؟ !والله لايحلهم رجل إلا ضربت عنقه .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٦ .

فهذا الموقف القوي الحازم جعل ابن أبي يتراجع عن أمره ويلجأ إلى استصدار الأمر من النبي ﷺ بفكِّ أسرهم .

ولاشك أن مجابهة رجل قوي له سيادة في قومه كابن أُبي تحتاج إلى شجاعة وقلب قوي ، ومن أجل ذلك اختار رسول الله ﷺ المنذر لحراسة الأسرى .

أما الرجل الآخر فهو عويم بن ساعدة الأوسي ، وقد كان له موقف مشابه مع عبد الله بن أُبي ، حيث رده عويم بالقوة لما أراد أن يدخل على رسول الله ﷺ بغير إذن ، وكان من أثر ذلك إصابة ابن أُبي بشجة في وجهه حينما دفعه عويم بالقوة .

ولقد كان ابن أُبي يُدلُّ - في كلا الموقفين - بشرفه الذي ورثه من أيام الجاهلية ، فكان يتوقع - لاغتراره بذلك الشرف - أن أحدًا لن يستطيع أن يرد أمره ولا أن يمنعه من بلوغ مايريد ، ولقد باء بالفشل حينما شم رائحة الموت من المنذر بن قدامة ، وحينما أهينت كرامته على يد عويم بن ساعدة .

لقد كان عليه أن يدرك - لو كانت له بصيرة - بأن موازين الشرف قد تبدلت في الإسلام ، وأن أمر رسول الله ﷺ فوق كل أمر ، وطاعته أوجب من طاعة أي إنسان آخر ، ولقد أدرك ذلك أولو البصائر من أمثال المنذر بن قدامة وعويم بن ساعدة ، فكان منهما هذا الموقف المشرف .

وقال ابن إسحاق في بيان مانزل في بني قينقاع من الآيات :

فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة عن ابن عباس ، قال . مانزل هؤلاء الآياتُ إلا فيهم : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**

سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقريش ﴿ **فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾(١) [**آل عمران**: ١٢، ١٣] .

يعني أن الكفار يرون المسلمين مثليهم بعد أن التحمت المعركة مع أن عدد المسلمين ثلثهم تقريبا ، فهذه آية عظيمة من نصر الله تعالى أولياءه المؤمنين ، فليعتبر هؤلاء اليهود بما جرى للمسلمين من انتصارهم المؤزر على أعدائهم في بدر مع أن الذين حضروا هم طائفة من المسلمين ولم يخرجوا لقتال فكيف إذا توجهوا لقتال اليهود ؟ !

وإذا كان الله تعالى قد نصر المؤمنين في بدر بالرعب وبالآيات العظمى فإنه تعالى قادر على أن ينصرهم على كل أعدائهم بذلك .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٧ .

٧ - مثل من اهتمام النبي ﷺ بالجهاد

(غزوة السويق)

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكَّائي ، عن محمد بن إسحاق المُطلبي ، قال : ثم غَزَا أبو سُفيان بن حَرْب غَزْوة السَّويق في ذي الحجة (١) ، وولي تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان - كما حدثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار - حين رجع إلى مكة ، ورجع فلُّ قُريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماءٌ من جنابة حتى يغزوا محمداً ﷺ ، فخرج في مئتي راكب من قُريش ، ليبرّ بيمينه ، فسلك النجدية ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حُيَيّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه .

فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها ، يقال لها : العُريض ، فحرقوا في أصْوار (٢) من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفا له في حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين .

---

(١) يعني من السنة الثانية للهجرة .

(٢) الأصوار جمع صور وهو النخل المجتمع المتقارب .

ونذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام حتى بلغ قرقرة الكدْر ، ثم انصرف راجعا ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يارسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : وإنما سُميت غزوة السويق ، فيما حدَّثني أبو عُبيدة : أن أكثر ماطرحَ القومُ من أزْوادهم السَّويقُ فَهجَم المسلمون على سويق كثير ، فسُمِّيت غزوة السويق [1] .

وفي هذه الغزوة مواقف منها :

أولاً : شدة اهتمام النبي ﷺ بالجهاد ، فما يكاد يطرق المدينة طارق شرٌ إلا ويكون ﷺ في مقدمة المنتدبين لملاحقة ذلك الطارق ، ولقد كان بإمكان النبي ﷺ أن يظل في أمن وطمأنينة وأن يرسل سرية في كل أمر يهمه ، خاصة وأن لديه من الجنود من يفدونه بأرواحهم وما ملكت أيديهم .

ولكنه ﷺ مشرِّع للأمة ، فهو يطمح دائمًا إلى معالي الأمور ، والقمم العليا من الأعمال الصالحة ، لأنه قدوة حسنة للمؤمنين ، فإذا رأوه يخرج بنفسه إلى الجهاد في سبيل الله تعالى مع مقدرته على أن يُنيب عنه من يؤدِّي المهمة بنجاح ، فإنهم يتنافسون على هذا العمل الصالح

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٣ .

وأخرجه الواقدي وذكر نحوه - مغازي الواقدي ١/ ١٨١ - .

العالي ، وبالتالي فإن الأمة المستقيمة على منهج نبيها ﷺ لن تمر عليها ظروف يقل فيها عدد المجاهدين عن حاجة المسلمين .

وقد أبان النبي ﷺ عن رغبته الشديدة في الجهاد بقوله الذي أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لاتطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » [1] .

ثانيًا : قول الصحابة رضي الله عنهم « يارسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم » .

فهذا يعتبر تطبيقا عمليا لما رباهم عليه النبي ﷺ من حب الجهاد والأمل الكبير في ثوابه الجزيل ، فحينما رجعوا بدون قتال خافوا أن لاتكتب لهم تلك السفرة غزوة في سبيل الله تعالى ، فطمأنهم النبي ﷺ على حصول ما يحبون من ذلك .

* * *

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، رقم ٢٧٩٧ (٦/ ١٦) .

٨ – موقف لرسول الله ﷺ في الثبات والشجاعة – (غزوة غَطَفَان بذي أَمَرّ)

قال محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى :

وكانت في ربيع الأول ، على رأس خمسة وعشرين شهراً . خرج رسول الله ﷺ يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع[1] ، فغاب أحد عشر يومًا .

ثم روى عن عدد من شيوخه أنهم قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أنَّ جمعًا من ثَعلبة ومُحارب بذي أمر ، قد تجمعوا يُريدون أن يُصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ ، جمعهم رجلٌ منهم يقال له دُعْثور بن الحارث بن مُحارب .

فندب رسول الله ﷺ المسلمين ، فخرج في أربعمائة رجل وخمسين، ومعهم أفراس ، فأخذ على المُنَقَّى[2] ، ثم سلك مضيق الخُبَيت[3] ، ثم خرج إلى ذي القَصَّة[4] ، فأصاب رجلاً منهم بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة ، فقالوا : أين تُريد ؟ قال : أريد يثرب . قالوا: وماحاجتك بيثرب ؟ قال : أردت أن أرتاد لنفسي وأنظر . قالوا : هل مررت بجمع ، أو بلغك خبر لقومك ؟ قال : لا ، إلا أنه قد بلغني أن دُعثور بن الحارث في أناس من قومه عُزل .

---

(١) يعني في السنة الثالثة للهجرة .

(٢) المنقى : اسم للأرض التي بين أحد والمدينة (وفاء الوفا ، ٢/ ٣٧٩) .

(٣) الخبيت : على بريد من المدينة (معجم ما استعجم / ٣٠٦) .

(٤) ذو القصة : موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد . (وفاء الوفا ٢/ ٣٦٢) .

فأدخلوه على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، وقال : يامحمد ، إنهم لن يُلاقوك ، إن سمعوا بمسيرك هربوا في رءوس الجبال ، وأنا سائرٌ معك ودالُّك على عَوْرَتهم . فخرج به النبي ﷺ وضمه إلى بلال ، فأخذ به طريقًا أهبطه عليهم من كَثيب ، وهربت منه الأعرابُ فوق الجبال ، وقبل ذلك ما قد غيّبوا سَرْحهم في ذُرَى الجبال وذراريِّهم ، فلم يُلاق رسول الله ﷺ أحدًا ، إلا أنَّه ينظر إليهم في رءوس الجبال .

فنزل رسول الله ﷺ ذا أمَرّ وعسكر معسكرهم فأصابهم مطرٌ كثيرٌ ، فذهب رسول الله لحاجته فأصابه ذلك المطر فبلَّ ثوبَه ، وقد جعل رسول الله وادي ذي أمَرّ بينه وبين أصحابه . ثم نزع ثيابه فنشرها لتَجفَّ ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعرابُ ينظرون إلى كلِّ مايفعل .

فقالت الأعراب لدُعْثور ، وكان سيّدها وأشجعها : قد أمكنك محمد ، وقد انفرد من أصحابه حيث إن غَوَّث بأصحابه لم يُغَثْ حتى تقتله . فاختار سيفًا من سيوفهم صارمًا ، ثم أقبل مُشتملاً على السيف حتى قام على رأس النبي ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يامحمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال رسول الله ﷺ : الله ! قال : ودفع جبريل عليه السلام في صدره ووقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، وقام به على رأسه فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ قال : لا أحد . قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ، والله ، لا أكثِّر عليك جمعًا أبدًا ! فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ، ثم أدبر ، ثم أقبل بوجهه فقال : أما والله لأنت خير مني . قال رسو ل الله ﷺ : أنا أحق بذلك منك .

فأتى قومه فقالوا : أين ماكنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال : والله ، كان ذلك ولكني نظرت إلى رجل أبيض طويل ، دفع في صدري فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملك وشهدت أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، والله لا أكثِّر عليه ! وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ، ونزلت هذه الآية فيه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ** ﴾(1) الآية.

وكانت غيبة النبي ﷺ إحدى عشرة ليلة ، واستخلف النبي ﷺ على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه (2) .

وهكذا كان النبي ﷺ في غاية الثبات ورباطة الجأش والسيف مصلت عليه . وقد حمله رجل شجاع ، كما كان في غاية التوكل على الله تعالى حينما قال له دعثور : من يمنعك مني ؟ فقال : الله . والنبي ﷺ يعطي بهذا درساً بليغاً في التوكل على الله جل وعلا واستحضار عظمته ومعيَّته لأوليائه بالنصر والتأييد ، وقد استفاد من ذلك أولياء الله تعالى على مر الزمن ، فمنع الله سبحانه عنهم أعداءهم وحماهم حتى من السباع المهلكة ، وكانت كرامات منه تعالى لأوليائه المؤمنين الصادقين .

---

(1) سورة المائدة / 11 .

والمشهور عند المفسرين أن هذه الآية نزلت حينما أراد بنو النضير أن يفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنها نزلت حينما أراد رجل أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع ، ومعنى الآية ينطبق على الوقائع الثلاث .

(2) مغازي الواقدي ١/ ١٩٣ - ١٩٦ .

وأخرجه ابن إسحاق مختصرا - سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٥ - .

وأدرك ذلك الرجل الذي جاء ليغدر بالنبي ﷺ أنه ممنوع منه ، ورأى بعينه الملك الذي جاء يحميه ، حيث ظهر له بصورة رجل أبيض طويل فدفع في صدره حتى وقع لظهره ، فكان ذلك سببا في استسلامه وإسلامه ، وكفَّه الله تعالى بذلك وقومه عن المؤمنين لأنه كان فيهم سيداً مطاعا .

* * *

٩ - مواقف في الرصد الحربي الدقيق -
(سرية القَرَدَة) (١)

قال محمد بن عمر الواقدي : فيها زيد بن حارثة ، وهي أول سرية خرج فيها زيد رضي الله عنه أميراً ، وخرج لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً .

حدثني محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد ، عن أهله ، قالوا : كانت قريش قد حذرت طريق الشام أن يسلكوها ، وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكانوا قوما تُجّاراً ، فقال صفوان بن أمية : إن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، لايبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا نأكل رءوس أموالنا ونحن في دارنا هذه ما لنا بها بقاء ، إنما نزلناها على التجارة ، إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة .

قال له الأسود بن المطلب : فنكِّب عن الساحل ، وخذ طريق العراق . قال صفوان : لست بها عارفًا . قال أبو زَمعة : فأنا أدلك على أخبر دليل بها يسلكها وهو مُغمض العين إن شاء الله . قال : من هو ؟ قال : فُرات بن حَيّان العجليّ ، قد دوّخها وسلكها . قال صفوان : فذلك والله ! فأرسل إلى فُرات . فجاءه فقال : إني أريد الشام وقد عور علينا محمدٌ متجرنا لأن طريق عيراتنا عليه ، فأردت طريق العراق . قال فُرات : فأنا أسلك بك في طريق العراق ، ليس يطؤها أحدٌ من أصحاب

(١) القردة : من أرض نجد بين الربَّذة والغمرة ، ناحية ذات عرق . (طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦) .

محمد ، إنما هي أرض نجد وفياف . قال صفوان : فهذه حاجتي ، أما الفيافي فنحن شاتون وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل .

فتجهز صفوان بن أمية ، وأرسل معه أبو زمعة بثلثمائة مثقال ذهب ونُقَر[1] فضة ، وبعث معه رجال من قريش ببضائع ، وخرج معه عبد الله بن أبي ربيعة وحُوَيطب بن عبد العُزى في رجال من قُريش . وخرج صفوان بمال كثير - نُقَر فضة وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم ، وخرجوا على ذات عرق .

وقدم المدينة نُعيم بن مسعود الأشجعي ، وهو على دين قومه ، فنزل على كنانة بن أبي الحُقيق في بني النضير فشرب معه ، وشرب معه سليط ابن النعمان بن أسلم - ولم تُحَرَّم الخمر يومئذ - وهو يأتي بني النضير ويُصيب من شرابهم . فذكر نعيم خروج صفوان في عيره ومامعهم من الأموال ، فخرج من ساعته إلى النبي ﷺ فأخبره .

فأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في مائة راكب ، فاعترضوا لها فأصابوا العير . وأفلت أعيان القوم وأسروا رجلاً أو رجلين ، وقدموا بالعير على النبي ﷺ فخمَّسها ، فكان الخُمُس يومئذ قيمة عشرين ألف درهم ، وقسم مابقي على أهل السرية . وكان في الأسرى فُرات بن حَيّان ، فأُتيَ به فقيل له : أسلم ، إن تُسلم نتركْك من القتل ، فأسلم فتركه من القتل[2] .

وأخرج ابن إسحاق خبر هذه السرية دون بعض التفاصيل المذكورة ،

---

(١) النقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

(٢) مغازي الواقدي ١ / ١٩٧ .

وذكر في آخر روايته أبياتًا لحسان بن ثابت رضي الله عنه يشيد فيها بجهود الصحابة رضي الله عنهم في حصار المشركين حيث يقول :

دعوا فَلَجات الشام قد حال دونها
جِلادٌ كأفواه المخاض الأوارك[1]

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
وأنصاره حقا وأيدي الملائك

إذا سلكَتْ للغور من بطن عالج
فقولوا لها : ليس الطريق هنالك[2][3]

في هذه السرية مواقف وعبر ، فمن ذلك :

أولاً : في الحوار الذي دار بين صفوان بن أمية وبعض زعماء قومه وصف للأثر الكبير الموجع الذي أحدثه ما قام به المسلمون بقيادة النبي ﷺ من ذلك الحصار التجاري المحكم على قوافل الكفار ، حيث أغلقوا عليهم الطريق الأساسي إلى الشام بما يقومون به من اعتراض قوافلهم ، فلجئوا إلى سلوك الطريق الشرقي البعيد المحفوف ببعض المخاطر ، ولكن المسلمين تنبّهوا لذلك ، فكان بعث هذه السرية التي أفزعتهم وأوجعتهم .

---

(١) أي دعوا مزارع الشام وخيراته فقد حالت بينكم وبينها حرب ضروس كأفواه الإبل الحوامل التي ألفت أكل شجر الأراك ، والمقصود من ذلك تضخيم شأن الحرب التي أثارها المسلمون ضد تجارة أهل مكة .

(٢) يعني إذا سلكت عير قريش ذلك الطريق لتأمين تجارتهم فلن يظفروا لأن المسلمين قد رصدوا لهم في جميع الطرق مايعوق سيرهم .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٠ .

وهكذا كان النبي ﷺ خبيرًا دقيق المعرفة بالوسائل الحربية التي تُخضع الخصوم وتقضي على عوامل قوتهم ، فكانت حربُه موجهة لقريش من السنة الأولى للهجرة في مجال إضعاف مصدرهم الوحيد للقوة والتمكين ، ألا وهو المجال التجاري ، حيث لم يكونوا أهل زراعة ولا صناعة ولا رعي ، فإذا انقطع موردهم التجاري الكبير إلى الشام رجعت معيشتهم إلى الكفاف ولم يستطيعوا بعد ذلك أن يمولوا المعارك الكبرى كما صنعوا يوم بدر .

ثانيًا : أن الله تعالى ساق نُعيم بن مسعود الأشجعي [١] ليبيت ليلة عند كنانة بن أبي الحقيق أحد زعماء اليهود ، ويشاء الله سبحانه أن يحضر معهما أحد المسلمين وهو سُليط بن النعمان بن أسلم بحكم الصداقة بينهم ، فيجرهم الحديث إلى أن أخبر نعيم عن عير قريش التجارية التي غيرت مجال سيرها تلك المرة ، ولعل هذا التغيير هو الذي لفت نظر نعيم فأصبح الحديث عن تلك العير ذا بال ، ويأخذ الخبر سُليط ويوصله للنبي ﷺ ، فيكون على أثره تجهيز تلك السرية .

وهكذا كان حديث الكفار بعضهم مع بعض في مجلس عادي نصرًا للمسلمين ودحرًا للكفار ، ولكن ذلك إنما تم ليقظة المسلمين ودقتهم في الرصد الحربي ، فسُليط لم يضيع تلك الفرصة بل سارع إلى إخبار النبي ﷺ بذلك الخبر ، وهذا يفيد بأن جميع أفراد المسلمين آنذاك - حتى غير المشهورين منهم - على وعي تام بقضاياهم في السلم والحرب ، وكانوا جميعًا جنود استخبارات لدولة الإسلام من غير أن يكلفوا بذلك ، ومن غير أن يتقاضوا على ذلك أجرًا دنيويًا .

(١) سيأتي له ذكر في غزوة الخندق حيث أسلم وقام بدور فعال في نصر المسلمين .

فَالْوَاحد من الصحابة كان يقوم بعمل عدد من الناس في عصرنا الحاضر فهو في السلم طالب علم مجتهد في أداء الشعائر التعبدية ، يشارك في عمارة الأرض بزراعة أو صناعة أو تجارة أو رعي ، فإذا دعا داعي الحرب كانوا كلهم مشاركين فيها إما في وقت واحد إذا لزم الأمر أو بالتناوب ، وهو في السلم والحرب رجل استخبارات خبير يقظ حريص على مصلحة أمته ودولته .

ومن هذا المنطلق وجدنا سليط بن النعمان قد أفاد من مجلس واحد نصراً مؤزراً للمسلمين .

ثم إن هذا الخبر ما كان ليفعل فعله لو كانت قيادة المسلمين متوانية مترددة ، أو مشتَّتة الرأي متفرقة الكلمة ، لكنه وافق قيادة النبي ﷺ الحازمة الحكيمة المطاعة ، فكان تجهيز تلك السرية بتلك السرعة التي أدت إلى كسب الموقف لصالح المسلمين .

ثالثًا : موقف لحسان بن ثابت رضي الله عنه فيما قاله في هذه المناسبة من شعر قوي بليغ ، كان له أثر بالغ في رفع معنوية المسلمين ، وخفض معنوية الكفار وتيئيسهم من العثور على طرق يأمنون فيها على تجارتهم ما دام المسلمون الأبطال الأتقياء قد وقفوا لهم بالمرصاد ، مدعومين بقيادة حكيمة حازمة من النبي ﷺ مؤيدين بالملائكة الأطهار عليهم السلام ، الذين لاتنسب قوة البشر إلى قوتهم ، معتمدين قبل ذلك كله على خالق الكون ومدبره جل وعلا ، فأين سيذهب أولئك الكفار الأقزام أمام قوة القاهر الجبار جل وعلا ، ثم أمام جنوده من المؤمنين الصادقين والملائكة المقربين ؟ ! .

* * *

١٠ - مثل عال من البطولة الفدائية -
(مقتل كعب بن الأشرف)

لما أصيب المشركون في بدر وقُتل عدد من زعمائهم وأسر عدد آخرون أحدث ذلك اضطرابا وفزعا لدى سائر الكفار المجاورين لمكة والمدينة ، وبدؤوا يفكرون بجد ونشاط في وسائل حرب المسلمين ومحاولة القضاء عليهم أو إضعاف قوتهم .

وكان من هؤلاء الكفار الذين بذلوا جهدا كبيرا في التأليب على رسول الله ﷺ كعب بن الأشرف اليهودي .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وكان من حديث كعب بن الأشرف : أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشيرَين ، بعثهما رسولُ الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه ، وقتل من قُتل من المشركين ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، كلّ قد حدثني بعض حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف وكان رجلا من طيِّء ، ثم أحد بني نبهان ، وكانت أمُّه من بني النضير - حين بلغه الخبرُ : أحق هذا ؟ أترون محمدًا قتل هؤلاء الذين يُسمِّي هذان الرجلان - يعني زيدًا وعبد الله ابن رواحة - فهؤلاء أشرافُ العرب وملوكُ الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقن عدوّ الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب

ابن أبي وداعة بن ضُبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، ويُنشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من قريش ، الذين أصيبوا ببدر ، قال :

طَحَنتْ رحى بدر لَمهْلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمعُ
قُتِلَتْ سَراةُ الناس حول حياضهم ... لاتبعدوا ، إن الملوك تُصرَّعُ

إلى أن قال :

نُبِّتُ أنّ الحارث بن هشامهم ... في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع ، وإنما ... يحمي على الحسب الكريمُ الأروع

قال ابن إسحاق : ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشَبَّبَ[1] بنساء المسلمين حتى آذاهم .

فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبدُ الله بن المغيث بن أبي بردة : من لي بابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنالك به يارسول الله ، أنا أقتله ، قال : فافعل إن قدرت على ذلك وجاء في رواية عروة « إن كنت فاعلاً فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ ، قال : فشاوره فقال له : توجه إليه واشك إليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاماً »[2] .

قال ابن إسحاق : فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثًا لا يأكل ولايشرب إلا ما يُعْلق به نفسه ، فَذُكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه ،

(١) أي تغزل .

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٣٨ .

فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله ، قلت لك قولا لا أدري هل أفيَنَّ لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك الجهد ، فقال : يارسول الله ، إنه لابد لنا من أن نقول [1] ، قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حل من ذلك .

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة بن وَقْش ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كَعْب بن الأشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر بن وَقْش ، أحدُ بني عبد الأشهل ، والحارث ابن أوس بن مُعاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر ، أحد بني حارثة .

ثم قدَّموا إلى عدوّ الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه ، فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني ، قال : أفعلُ ، قال : كان قُدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادتْنا به العرب ، ورَمَتْنا عن قوس واحدة وقطعت عنَّا السُّبل حتى ضاع العيال ، وجُهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب بن الأشرف : أما والله لقد كنتُ أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ، فقال له سلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونُوثق لك وتُحسن في ذلك ، فقال : أترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا إنّ معي أصحابا لي على مثل رأيي ، وقد أردتُ أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتُحسن في ذلك ،

---

(١) يعني أن نقول فيك وفي الإسلام غير مانعتقد .

ونرهنك من الحلقة [1] مافيه وفاء ، وأراد سلكان أن لايُنكر السلاح إذا جاءوا بها ، قال : إن في الحلقة لوفاء .

جاء في رواية الإمام البخاري أن الذي ذهب إليه وخاطبه هو محمد بن مسلمة ، وقال الحافظ ابن حجر في ذلك : وقع في هذه الرواية الصحيحة أن الذي خاطب كعبا بذلك هو محمد بن مسلمة ، والذي عند ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أنه أبو نائله ، وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه ، ويحتمل أن يكون كل منهما كلَّمه في ذلك لأن أبا نائلة أخوه من الرضاعة ومحمد بن مسلمة ابن أخته[2] .

قال ابن إسحاق : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بقيع الغرْقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أَعِنْهُم ، ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته ، وهو في ليلة مُقمرة .

وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعُرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لاينزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائما لما أيقظني ، فقالت : والله إني

---

(1) يعني السلاح .

(2) فتح الباري ٧/ ٣٣٨ .

لأعرف في صوته الشر ، قال : يقول كعب : لو يُدعى الفتى لطعنة لأجاب فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يابن الأشرف في أن نتماشى إلى شعب العجوز ، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فَوْد رأسه [1] ، ثم شم يده ، فقال : مارأيت كالليلة طيبا أعطر قطٌّ ، ثم مَشَى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تُغْن شيئًا .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغْولا[2] في سيفي ، حين رأيت أسيافنا لاتغني شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا وقد أوقدت عليه نارٌ ، قال : فوضعته في ثُنَّته[3] ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن مُعاذ ، فجرح في رأسه أو في رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا .

قال : فخرجنا حتى سَلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قُريظة . ثم على بُعاث حتى أسْندنا في حَرَّة العُريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوْس ، ونَزَفه الدم فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل ، وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفَل على جُرح صاحبنا ، فرجع ورَجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود

(١) يعني أدخل يده في شعره وفود الرأس جانبه .

(٢) المغول سيف دقيق له قفا كهيئة السكين .

(٣) الثُنَّة ما بين السرة إلى العانة .

لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يخاف على نفسه[1] .

وقد ذكر ابن إسحاق والواقدي أشعارًا لبعض شعراء الصحابة رضي الله عنهم في الإشادة بما قام به هؤلاء الأبطال .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغُودر منهم ُكعبٌ صريعا فذلَّت بعد مصرعه النضيرُ

على الكفَّين ثم وقد علَتْهُ بأيدينا مشهَّرةٌ ذكور [2]

بأمر محمد إذ دسَّ ليلاً إلى كعب أخا كعب يسير [3]

فما كَرَهُ فأنزله بمكر ومحمودٌ أخو ثقة جسور [4]

---

(١) أشار الحافظ ابن حجر إلى هذا الخبر وحكم على إسناده بأنه حسن (الفتح ٧/ ٣٣٨) .

وخبر مقتل كعب بمجمله أخرجه الإمام البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه - صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٤٠٣٧ (٧/ ٣٣٦) .

وأخرجه الواقدي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ومن حديث يزيد بن رومان ، ومن حديث عبد الله بن كعب بن مالك ، وذكر نحو خبر ابن إسحاق - مغازي الواقدي ١/ ١٨٤ - .

وأخرجه الحافظ إسحاق بن راهويه في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . ذكره الحافظ ابن حجر في - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/ ٢١٤-٢١٦ وقال : هذا إسناد حسن متصل .

وأخرجه الإمام أحمد مختصرا من حديث عبد الله بن كعب بن مالك عن عمه - ذكره الحافظ الهيثمي وقال : ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد ٦/ ١٩٦ - .

(٢) مشهرة أي مرفوعة ، وذكور أي حادة .

(٣) يعني أخاه من الرضاعة وهو أبو نائلة .

(٤) يعني محمد بن مسلمة .

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لله در عصابة لاقيتَهم	يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يَسْرُون بالبيض الخفاف إليكم	مرَحًا كأسْد في عرين مُغرف[1]
حتى أتوكم في محل بلادكم	فسقوكم حتفا ببيض ذُفَّف [2]
مُسْتَنصرين لنصر دين نبيِّهم	مُسْتَصغرين لكل أمر مُجحف [3]

في هذا الخبر مواقف وعبر منها :

أولاً : اهتمام النبي ﷺ بقطع جذور الفساد والإفساد قبل استفحالها ، فقد كان خطر كعب بن الأشرف على المسلمين آنذاك عظيما لكونه سيدا من سادات اليهود ، ولكونه شاعراً ، والشعر له أثره الكبير عند العرب ، فكان لابد من القضاء عليه قبل أن ينجح في تأليب قريش والقبائل الأخرى على المسلمين فتكون تضحية المسلمين كبيرة والبلاء عليهم عظيما ، فلذلك انتدب النبي ﷺ محمد بن مسلمة وأصحابه لهذه المهمة .

وهذا الأمر من النبي ﷺ يدل على أن جهاد الكفار لايقتصر على مواجهتهم في ميدان المعارك ، وإنما يتعدى ذلك إلى كل عمل تحصل به النكاية بالأعداء ما لم يكن إثما ، فإن الأعداء يتمنون الفتك بالبارزين من المسلمين بأي صورة تكون لو قدروا على ذلك ، وقد يوفر القضاء على

---

(١) يسرون أي يسيرون ليلا ، والبيض هي السيوف ، ومُغرف أي كثير الشجر .

(٢) أي بسيوف سريعة القتل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٩ - ٥١٠ .

رجل له دوره البارز في حرب المسلمين جهودا كبيرة وخسائر فادحة يتكبدها المسلمون .

وهذا مشروط بالأمن من الفتنة ، وذلك بأن يكون للمسلمين دولة وقوة ، بحيث لايترتب على العمل الفدائي فتك بالمسلمين ، وإفساد في مجتمعهم قد يضعف من مستوى الاستقامة الدينية والدعوة إلى الإسلام .

ثانيًا : ما جرى من محمد بن مسلمة رضي الله عنه من الانصراف عن الطعام والشراب إلا بقدر الضرورة حينما توجه لهذا الأمر .

وهذا مثل مما كان يتمتع به الصحابة رضي الله عنهم من الحساسية المرهفة نحو الشعور بالمسئولية ، لقوة إيمانهم بالله تعالى وعظيم خشيتهم منه ، وهذه الحساسية المرهفة تشغل تفكيرهم وتفتّق أذهانهم حتى يتعرفوا على السبل الموصلة إلى الغرض المقصود بإنتاج أكثر ومؤنة أيسر ، مع وضع الاحتياطات اللازمة للنجاح والبعد عن المخاطر المفسدة للعمل قبل نهايته .

ولما كان هذا الأمر الذي استعد له محمد بن مسلمة رضي الله عنه مما لا يضمن نجاحه لاحتمال أن يذاع السر قبل تنفيذه ، الأمر الذي يجعل ابن الأشرف يحتاط لنفسه كثيراً ، وقد يُقتل ابن مسلمة قبل أن ينفّذ ما التزم به ، وهو لايهمه إزهاق روحه إنما يهمه أن ينفذ أمر رسول الله ﷺ وليكن عليه من الأذى مايكون . . لما كان الأمر كذلك حصل منه ماحصل من التأثر والقلق ، وقد بيّن له رسول الله ﷺ أن عليه أن يبذل جهده في محاولة الوصول إلى الهدف وليس عليه إدراك الهدف ، لأن

الأقدار بيد الله عز وجل وحده ، ولو فكر كل إنسان بنتائج العمل ، وساورته الهموم من خوف الإخفاق فيه ، وعدم الوصول إلى النتائج المطلوبة لما أقدم على العمل إلا القليل من الناس ، وصدق القائل :

وعليَّ أن أسعى وليـ ـس عليَّ إدراك النجاح

وحينما قال : يارسول الله إنه لابد من أن نقول - يعني أن نقول أمرًا مخالفا للحقيقة لنخدع به الرجل - قال : قولوا مابدا لكم فأنتم في حل من ذلك فسُرِّي عن محمد بن مسلمة وانجلَى عنه كثير من الهمِّ الذي كان يساوره ، إذ أنه كان يعلم أن نجاح مثل هذا الأمر لابد له من الحيلة لكسب ثقة العدو ثم الإيقاع به بعد ذلك ، ولما كان ذلك في ظاهره يخالف الأخلاق الإسلامية في المعاملة تردد في الإقدام عليه ، ثم استأذن رسول الله ﷺ فأذن له وبين أنهم لايرتكبون إثمًا في ذلك ما داموا في حال حرب ، وهذا موافق لقوله ﷺ « الحرب خُدْعَة »(١) .

وإنما أبيحت مخادعة الأعداء في الحرب مع أنها محرمة بين المسلمين لأنها من التمهيد للنكاية بالأعداء ، شأنها شأن تتبع غفلات العدو للإيقاع به .

وجاء في صحيح الإمامين البخاري ومسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا » قالت : ولم أسمعه يُرخِّص في شيء

(١) صحيح البخاري ، الجهاد ، رقم ٣٠٢٧ (٦/ ١٥٧) ، صحيح مسلم ، الجهاد رقم ١٧٤٠ (ص١٣٦٢) .

مما يقول الناس إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها [1] .

وكل هذه الأمور مقيَّدة بحصول المصلحة للمسلمين والخلو من الإثم .

ثالثًا : في هذا الخبر مثل من المقدرة الفائقة على الحفاظ على السِّرِّية وذلك في كتمان هذه الخطة مع كثرة من في المدينة من اليهود والمنافقين ومع تأخر تنفيذها وكون النبي ﷺ عرض هذا الأمر في مشهد من الصحابة وجرت فيه مشورة ، وهذا دليل على قوة إيمان هؤلاء الصحابة وإخلاصهم لدينهم .

رابعًا : في قول رسول الله ﷺ « انطلقوا على اسم الله » تذكير لهم بإخلاص القصد والتجرد لله عز وجل واستصحاب ذكره ، ثم دعا لهم بهذه الدعوة الكريمة « اللهم أعنْهم » ولاشك أن هذا الدعاء الصادر ممن لاينطق عن الهوى قد زودهم بثقة كبيرة وقوة عالية ، فانطلقوا وهم على طمأنينة من نجاح أمرهم .

ومع ثقتهم بهذا الدعاء الكريم فإنهم لم يغفلوا الأسباب الموصلة بهم إلى نجاح مقصودهم لأن المسلم مأمور بالجمع بين التوكل على الله تعالى وأخذ الأسباب التي شرعها الله سبحانه .

وهكذا كان هؤلاء الصحابة المغامرون يقومون بتنفيذ أدوار الخطة المحكمة التي اتفقوا عليها حتى أدركوا مقصدهم الأسمى ، ورسول

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، رقم ٢٦٩٢ (٥/ ٢٩٩) صحيح مسلم ، البر ، رقم ٢٦٠٥ (ص ٢٠١١) .

الله ﷺ معهم بإحساسه الكبير ومشاعره الفياضة لقد كانوا يقومون بتنفيذ العملية بعقولهم وأجسامهم ، ورسول الله ﷺ يتولى قيادتها العليا بالاتصال بالله تعالى ودعائه لهم بالنصر والإعانه .

إن الوسائل التي شرعها الله سبحانه للوصول إلى المقاصد المترتبة عليها تبقى لها فعاليتها ما لم يكن قدر الله تعالى يقضي بغير ذلك ، فعند ذلك تنزع منها فعاليتها ، وقد يكون ذلك بسبب دعاء أولياء الله الصالحين، وكم أمَّل المسلمون بالنصر وتشوقت له نفوسهم حينما يكون في معيتهم رجال صالحون يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء ، ويشعرون في قرارة نفوسهم بأن الله تعالى معهم بنصره وتأييده .

هذا وإن البطولة والفدائية في قتل ابن الأشرف لاتكمن في عملية قتله حينما تم إفراده من قومه فهي عملية يسيرة حتى لو كان مُقَابِلُهُ فردا واحدا من المسلمين ، لأن المسلم قد تم إعداده ليقف مقابل عشرة من الكفار ، وإنما البطولة والفدائية في كون هؤلاء الصحابة قد دخلوا منطقة من مناطق اليهود واستطاعوا بالحيلة استدراج ذلك الرجل ، مع أن الاحتمال وارد بأن يدرك اليهود خطرهم فيحيطوا بهم من كل جانب سواء بعد تنفيذ العملية أو قبلها ، فالقيام بهذا العمل بحدٍّ ذاته يعتبر مغامرة جريئة .

وتم ما أراده الرسول ﷺ من إرهاب كل من تسوِّل له نفسه من اليهود أن ينقض العهد ويتعرض للمسلمين بالأذى ، كما جاء في سياق رواية ابن إسحاق « فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه » .

وهكذا تم تأديب هؤلاء الخائنين الناكثين العهد بقطع بعض رؤوس الشر فيهم ، وحين يكون الداء في العضو مستفحلا فإنه لايجدي معه الدواء وإنما يحُدُّ من استشرائه بتره وتخليص الأعضاء السليمة منه .

رابعًا : فيما جرى من كعب بن الأشرف من تصديق أولئك الصحابة الذين أتوا إليه متذمرين - ظاهرا - من وضعهم مع النبي ﷺ عبرة ، حيث كان كعب معروفا بالدهاء ، ولم يكن من المتعارف تصديق رجال جاؤوا من العدو بهذه السهولة ، ولقد أدركت امرأته خطورة الموقف ، ولم تكن المرأة هذه أدهى من ابن الأشرف ولكن قضاء الله ماض وحكمه نافذ ، فقد طغى على فكره حقده الأسود على رسول الله ﷺ وشوقه الشديد إلى تفريق أصحابه عنه ، ومازال لكلام أبي نائلة رنين في أذنيه ، فهو يؤمل أن يكسب به طائفة من أصحابه تكون مصدر إزعاج لرسول الله ﷺ ونواةً لتفريق الناس عنه ، وماذلك إلا سبب لمضيٍّ قدر الله تعالى ، ولاننسى دعاء النبي ﷺ لهؤلاء الرهط الكرام بالإعانة ، فما نزول هذا الرجل المحارب في هذه الساعة من الليل إلا سبب من أسباب النصر أجراه الله تعالى ليتم به ما قضاه وقدره من نصرة الحق وخذلان الباطل .

وإذا أراد الله سبحانه نصرة دينه على يد أوليائه المؤمنين هيأ لهم أسباب النصر وأعمى أعداءهم عن سبل الحذر والوقاية ، فلا يُفْزعَنَّ المسلمين ما يملكه أعداؤهم من وسائل الهجوم وأسباب الوقاية فهي لاتردُّ شيئًا من قضاء الله وقدره ، ولو أن هؤلاء الرهط الكرام نظروا إلى حصن هذا الرجل الشامخ وكونه بين قومه وعشيرته لما أقدموا على محاولة القضاء عليه .

خامسًا : مما يتعلق بهذا الموضوع ما أخرجه الواقدي من حديث إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النَّضْري : كيف كان قتل ابن الأشرف ؟ قال ابن يامين : كان غدرًا ، ومحمد بن مسلمة جالسٌ شيخ كبير ، فقال : يامروان ، أيغدر رسول الله عندك ؟ والله ، ما قتلناه إلاّ بأمر رسول الله ﷺ ، والله لايُؤويني وإياك سقفُ بيت إلا المسجد ، وأما أنت ياابن يامين ، فللّه عليّ إن أفلتَّ وقدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربتُ به رأسك ، فكان ابن يامين لاينزل في بني قُريظة حتى يبعث له رسولاً ينظر محمد بن مَسْلَمة ، فإن كان في بعض ضياعه نزل فقضي حاجته ثم صدر ، وإلا لم ينزل .

فبينا محمد بن مسلمة في جنازة وابن يامين بالبقيع ، فرأى نَعشًا عليه جرائدُ رطبةٌ لامرأة ، جاءَ فحلّه . فقام الناس فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ما تصنع ؟ نحن نكفيك ، فقام إليه فلم يزل يضربه بها جريدةً جريدةً حتى كسر تلك الجرائد على وجهه ورأسه حتى لم يترك فيه مَصَحًا ، ثم أرسله ولاطَبَاخَ[1] به ، ثم قال : والله لو قدرتُ على السيف لضربتك به[2] .

فهذا موقف يذكر لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه في غيرته الدينية ودفاعه عن رسول الله ﷺ وقيامه بتعزير من تطاول عليه واتهمه بالغدر .

* * *

---

(١) أي لاقوة به .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ١٩٢ - ١٩٣ .

مواقف وعبر

فى غزوة أُحد

١- اجتماع قريش وأحلافهم على غزو المسلمين-

قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى : وكان من حديث أحد كما حدثني محمد بن مُسلم الزُّهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد . وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقتُ من هذا الحديث عن يوم أحد ، قالوا أو من قاله منهم :

لما أُصيب يوم بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، ورجع فَلُّهم[١] إلى مكة ، ورجع أبو سُفيان بن حرب بعيره[٢] ، مَشَى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة ابن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سُفيان ابن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قُريش تجارة ، فقالوا : يامعشر قُريش إن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينُوا بهذا المال على حَربه ، فلعلنا نُدرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

فاجتمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سُفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحابيشها [٣] ، ومن أطاعها من قبائل كنانة ، وأهل تهامة .

---

(١) أي بقيتهم المهزومة .

(٢) بكسر العين والراء يعني القافلة .

(٣) الأحابيش قبائل تحالفت على النصرة وحالفت قريشا على ذلك وقيل إنها سميت بذلك لأنها تحالفت عند جبل حبشي بأسفل مكة وقيل سميت بذلك لاجتماعهم ، والتجمع في كلام العرب هو التحبُّش ، - عيون الأثر ٢/ ٢٥ - .

وقال محمد بن عمر الواقدي في روايته : وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليهم ، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل ، وخرجوا بعدة وسلاح كثير ، وقادوا مائتي فرس ، وكان فيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير [1] .

وذكر ابن إسحاق أنهم حينما وصلوا المدينة نزلوا حول جبل عَيْنَين ببطن السبخة على شفير الوادي [2] وذلك جهة جبل أحد .

تبين لنا من هذا الخبر أن كفار قريش ومن حالفهم قد اجتمعوا على محاربة المسلمين في المدينة .

وسبق لنا بيان ماحصل على الكفار في معركة بدر من الهزيمة وفقد عدد كبير من سادتهم ، ووقوع عدد آخرين أسرى بأيدي المسلمين .

وكان من نتائج ذلك أن صمم هؤلاء الكفار على غزو المسلمين في عُقْر دارهم في المدينة ، وكان قصدهم استئصالهم والقضاء على دينهم .

ولو نظرنا إلى الموضوع بنظرة مجردة عن اعتبار العقيدة وأن المسلمين يدافعون عن دينهم الحق وأن الكفار يدافعون عن دينهم الباطل فإن تذكر مافعله المشركون بالمسلمين من الأذى وهم في مكة على مدى عشر سنوات منذ أن جهر النبي ﷺ بدعوته ، وما قاموا به عند هجرتهم من تجريدهم من أموالهم والاستيلاء على مساكنهم يجعل هؤلاء المسلمين في نظر العقلاء مظلومين ظلمًا منكرًا من الكفار ، وأن ما أصاب قوافل المشركين التجارية أو أصابهم في بدر يعتبر قليلاً بالنسبة لما أصابوا من

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٠٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٣-٧ .

المسلمين قبل ذلك وهم مجردون من القوة ، فكانت النظرة الصحيحة والتفكير السليم - لو كانوا يعقلون - أن يقوموا بتصحيح خطئهم الفادح الذي ارتكبوه مع المسلمين الذين أصبحت لهم دولة قوية في المدينة ، وذلك بعقد الصلح معهم وتعويض المهاجرين عن كل ما فقدوه من أموالهم .

ولكنهم مازالوا على عنجهيتهم واستكبارهم وجهلهم حيث لم يعترفوا بخطئهم الذي ارتكبوه ضد المسلمين ، ومازالوا يعتبرون أن المسلمين ضعفاء وأنهم ليس لهم كيان قوي يُخشى منه ، فلذلك كان عزمهم على غزو المسلمين في المدينة .

* * *

٢ - بَعْثُ الحباب بن المنذر لمعرفة جيش المشركين -

قال محمد بن عمر الواقدي في سياق رواية له : فلما نزلوا [يعني المشركين] وحلُّوا العُقد واطمأنُّوا ، بعث رسول الله ﷺ الحباب بن المُنْذر بن الجموح إلى القوم ، فدخل فيهم وحَزَر ونظر إلى جميع مايُريد ، وبعثه سراً وقال للحباب : لاتُخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلَّة .

فرجع إليه فأخبره خاليًا ، فقال له رسول الله ﷺ : ما رأيت؟ قال : رأيت يارسول الله عدداً ، حزرتهم ثلاثة آلاف ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، والخيل مائتي فرس ، ورأيت دروعًا ظاهرة . حزرتها سبعمائة درع . قال : هل رأيت ظُعُنًا ؟ قال : رأيت النساء معهن الدِّفاف والأكبار - الأكبار يعني الطبول - فقال رسول الله ﷺ : أردْن أن يُحرّضن القوم ويُذكّرنهم قتلى بدر ، هكذا جاءني خبرهم ، لاتذكر من شأنهم حرفًا ، حسبُنا الله ونعم الوكيل ، اللّهم بك أجولُ وبك أصولُ[١] .

في هذا الخبر بيان اهتمام النبي ﷺ بمعرفة حجم جيش الكفار ومدى استعدادهم وقوتهم ، وهذا أمر ضروري للاستعداد ووضع الخطط المناسبة .

وقوله ﷺ للحباب « لاتخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة» بيان لأهمية المحافظة على قوة معنوية المجاهدين وارتفاع حماسهم .

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨ .

وفي هذا الخبر موقفان للحباب بن المنذر رضي الله عنه :

الأول : في شجاعته حيث استطاع أن يدخل في جيش المشركين ويقوم بمهمة تقدير عددهم وعدتهم ، وهذه المهمة لايكفي فيها أن يجول حولهم من بعيد لأن ذلك لا يتيح له فرصة الاطلاع الكافي ، والأرقام التي قدمها للنبي ﷺ تدل على أنه قد دخل في جيشهم ، وتلك مغامرة جريئة لايقوم بها إلا من كانوا يجمعون بين الشجاعة والحذر .

والموقف الثاني : في دقة رصده الحربي حيث أفاد عن عددهم وعدد خيولهم وأدراعهم بما يوافق الإحصاءات التي تمت بعد ذلك أو يقاربها ، وهذه خبرة حربية عالية ، ولقد أحسن النبي ﷺ الاختيار حينما اختار الحباب لهذه المهمة .

وأخيراً موقف جليل وذلك في جواب النبي ﷺ للحباب حيث قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أجول وبك أصول » وهذا يدل على قوة التوكل على الله تعالى حيث لم يذكر في ذلك الموقف الرهيب غير الله جل وعلا ، وهذا هو أهم عوامل النصر .

إن عوامل النصر المادية يشترك فيها المؤمنون والكفار ولكن العامل الوحيد الذي يختص به المؤمنون هو التوكل على الله سبحانه ، وبهذا العامل القوي العظيم انتصر رسول الله ﷺ على اعدائه وانتصر المؤمنون من بعده على أعدائهم .

* * *

٣ - موقف ثبات لسلمة بن سلامة بن وَقْش -

قال محمد بن عمر الواقدي في سياق رواية له : وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة حتى إذا كان بأدنى العرْض [١] إذا طليعة خيل المشركين عشرة أفراس ، فركضوا في أثره فوقف لهم على نشز من الحَرَّة ، فراشقهم بالنبل مرة وبالحجارة مرة حتى انكشفوا عنه . فلما ولَّوا جاء إلى مزرعته بأدنى العرض ، فاستخرج سيفًا كان له ودرع حديد كانا دُفنا في ناحية المزرعة ، فخرج بهما يعدو حتى أتى بني عبد الأشهل فخبر قومه بما لقي منهم . وكان مَقْدَمهم يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال ، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال [٢] .

هذا الخبر يدل على شجاعة سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري رضي الله عنه وقوة احتماله حيث ثبت أمام عشرة من الفرسان ، ولقد أعطى المشركين بذلك درسًا بليغاً في الصبر والثبات ، وهذا شاهد على أن الكفار لايبذلون في الحرب إلا جزءاً يسيرا من طاقتهم ، لأنهم يهتمون قبل كل شيء بالدفاع عن أنفسهم واستبقاء حياتهم ، وأن المؤمن الحق يبذل طاقة كبيرة تعادل طاقة عشرة من الكفار أو أكثر .

* * *

---

(١) العرض بكسر العين مكان يزرع فيه أهل المدينة مابين الوطاء بأحد إلى الجرف إلى العرصة - مغازي الواقدي ١/ ٢٠٧ .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٠٨ .

٤ – مواقف إيمانية فدائية –

(خبر رؤيا رسول الله ﷺ ومشورة أصحابه)

قال محمد بن عمر الواقدي : فحدثني محمد بن صالح . عن عاصم بن عمر بن قتادة . عن محمود بن لَبيد . قال : ظهر النبي ﷺ على المنبر . فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس . إني رأيت في منامي رؤيا ، رأيت كأني في درع حصينة . ورأيت كأنَّ سيفي ذا الفَقار انقصم من عند ظُبته [1] . ورأيت بقرًا تُذبح . ورأيت كأني مُردفٌ كبشاً .

فقال الناس : يارسول الله ، فما أوّلتَها ؟ قال : أما الدِّرع الحصينة فالمدينة . فامكثوا فيها ، وأما انقصام سيفي من عند ظُبته فمُصيبةٌ في نفسي ، وأما البقر المُذبَّح . فقتلَى في أصحابي ، وأما مُردفٌ كَبشًا . فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله .

قال : وحدثني عمر بن عُقبة ، عن سعيد . قال : سمعت ابن عباس يقول قال النبي ﷺ : وأما انقصام سيفي . فقتل رجل من أهل بيتي .

ثم قال : حدثني محمد بن عبد الله . عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخْرَمة . قال : قال النبي ﷺ : ورأيت في سيفي فَلاً فكرهته . فهو الذي أصاب وجهه ﷺ .

وقال النبي ﷺ : أشيروا عليّ ! ورأى رسول الله ﷺ ألاّ يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، فرسول الله ﷺ يُحبّ أن يُوافق على مثل ما رأى وعلى ما عبَّر عليه الرؤيا . ثم ذكر رأي عبد الله بن أُبي بن سلول الموافق

---

(١) أي من طرفه .

لرأي النبي ﷺ إلى أن قال : فقال فتيانٌ أحداثٌ لم يشهدوا بدرًا ، وطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوّهم ، ورغبوا في الشهادة ، وأحبّوا لقاءَ العدوّ : اخرجْ بنا إلى عدوّنا ! وقال رجالٌ من أهل السنّ وأهل النِّيَّة ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك بن ثَعْلَبَة ، في غيرهم من الأوس والخزرج : إنا نَخْشَى يارسول الله أن يظنّ عدوّنا أنَّا كرهنا الخروج إليهم جُبنًا عن لقائهم ، فيكون هذا جُرأةً منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلثمائة رجل فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشرٌ كثيرٌ ، قد كنَّا نتمنّى هذا اليوم وندعو الله به ، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا . ورسول الله ﷺ لَمَّا يرى من إلحاحهم كاره ، وقد لبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم ، يتسامون [1] كأنهم الفحول .

وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخُدري : يارسول الله ، نحن والله بين إحدى الحُسنيين - إما يُظفرنا الله بهم فهذا الذي نُريد ، فيُذلهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلا الشريد ، والأخرى يارسول الله ، يرزقنا الله الشهادة . والله يارسول الله ، ما أبالي أيهما كان ، إنَّ كُلاً لفيه الخير ! فلم يبلغنا أنَّ النبي ﷺ رجع إليه قولاً ، وسكت .

فقال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه : والذي أنزل عليك الكتاب ، لا أطعَمُ اليوم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارجًا من المدينة ، وكان يقال : كان حمزة يوم الجمعة صائمًا ، ويوم السبت صائمًا ، فلاقاهم وهو صائم .

---

(١) يتسامون : يتبارون . (القاموس المحيط ، ج٤ ، ص ٣٤٤) عن هامش المغازي .

قالوا : وقال النُّعمان بن مالك بن ثَعْلَبة أخو بني سالم : يارسول الله ، أنا أشهد أنَّ البقر المُذبَّح قتلَى من أصحابك وأنهم منهم ، فلمَ تحرمنا الجنَّة ؟ فو الذي لا إله إلا هو لأدخلنَّها . قال رسول الله ﷺ : بمَ؟ قال : أنّي أُحبّ الله ورسوله ولا أفرّ يوم الزَّحف . فقال رسول الله ﷺ : صدقت ! فاستُشهد يومئذ .

وقال إياس بن أوس بن عَتيك : يارسول الله ، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المُذبح ، نرجو يارسول الله أن نُذبح في القوم ويُذبح فينا . فنصير إلى الجنَّة ويصيرون إلى النار . مع أنّي يارسول الله لا أُحب أن ترجع قُريش إلى قومها فيقولون : حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها ! فيكون هذا جُرأة لقُريش ، وقد وطئوا سَعَفَنا فإذا لم نذُبّ عن عرضنا [1] لم نزرع ، وقد كنَّا يارسول الله في جاهليتنا والعرب يأتوننا ، ولايطمعون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيافنا حتى نذبهم عنَّا ، فنحن اليوم أحق إذ أيدنا الله بك ، وعرفنا مصيرنا ، لانحصر أنفسنا في بيوتنا .

وقام خيثمة أبو سعد بن خَيثمة فقال : يارسول الله ، إن قُريشًا مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يُكلموا [2]، فيُجرئهم ذلك علينا حتى يشنُّوا الغارات علينا ، ويُصيبوا أطرافنا ، ويضعوا العيون والأرصاد علينا ، مع ماقد صنعوا بحروثنا ، ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم ، فنَذُبُّهم

(١) العرضُ مكان يزرعون فيه كما تقدم .

(٢) أي لم يجرحوا .

عن ديارنا وعسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الأخرى فهي الشهادة ، لقد أخطأتْني وقعة بدر وقد كنت عليها حريصا ، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرُزق الشهادة ، وقد كنت حريصًا على الشهادة ، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة ، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها وهو يقول : الْحقْ بنا تُرافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ، ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة . فدعا له رسول الله ﷺ بذلك ، فقتل بأحد شهيدا .

وقالوا : قال أنس بن قتادة : يا رسول الله ، هي إحدى الحسنيين ، إما الشهادة وإما الغنيمة والظفر في قتلهم . فقال رسول الله ﷺ : إني أخاف عليكم الهزيمة .

قالوا : فلما أبوا إلا الخروج صلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس . ثم وعظ الناس وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا . ففرح الناس بذلك حيث أعلمهم رسول الله ﷺ بالشخوص إلى عدوهم ، وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ . وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم . ثم صلى رسول الله ﷺ العصر بالناس وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي ، ورفعوا النساء في الآطام ، فحضرت بنو عمرو بن عوف ولَفُّها والنبيت ولفها وتلبَّسوا السلاح .

فدخل رسول الله ﷺ بيته ، ودخل معه أبو بكر وعمر رضي الله

عنهما، فعمَّماه ولبَّساه، وصفَّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، ينتظرون خروجه. فجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا: قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم، واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه، فما أمركم فافعلوه وما رأيتم له فيه هوى أو رأي فأطيعوه.

فبينا القوم على ذلك من الأمر، وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد وبعضهم على البصيرة على الشخوص، وبعضهم للخروج كاره، إذ خرج رسول الله ﷺ، قد لبس لأمته [١]، وقد لبس الدرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم [٢]، كانت عند آل أبي رافع مولى رسول الله ﷺ بعد، واعتم، وتقلد السيف. فلما خرج رسول الله ﷺ ندموا جميعا على ما صنعوا، وقال الذين يلحون على رسول الله ﷺ: ما كان لنا أن نلح على رسول الله في أمر يهوى خلافه. وندَّمهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام، فقالوا: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك، وما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك. فقال: قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.

وكانت الأنبياء قبله إذا لبس النبي لأمته لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. ثم قال رسول الله ﷺ: انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم [٣].

---

(١) أي سلاحه.

(٢) أي من جلد.

(٣) مغازي الواقدي ١/ ٢٠٩ - ٢١٤.

وقد يقال: لماذا لم يعمل النبي ﷺ بالرؤيا التي رآها والتي مفادها الإقامة بالمدينة وعدم الخروج منها لقتال الأعداء مع أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق ووحي؟ولماذا فتح باب الشورى مع وضوح الأمر في هذه الرؤيا؟

ويمكن أن يقال: إن تلك الرؤيا تشتمل على الأمرين: البقاء في المدينة مع قتال الأعداء فيها والخروج لقتالهم، ويمثّل الأمر الأول من الرؤيا قول رسول الله ﷺ «رأيت كأني في درع حصينة»، ويمثل الأمر الثاني قوله«ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته، ورأيت بقرا تذبح»، فكأن هذه الرؤيا تخيير للنبي ﷺ بين الأمرين، وكان ﷺ رحيما بالمؤمنين، ولم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فلذلك رأى البقاء في المدينة إشفاقا على أصحابه، ثم استشار أصحابه في أحد الأمرين، فلما رأى كثرة المشيرين بالخروج وشدة حماسهم وقوة اندفاعهم كره مخالفتهم ورغب في تلبيةمطالبهم وتحقيق طموحاتهم، فعدل عن رأيه وأخذ برأيهم.

فالنبي ﷺ لم يخالف أمر الله تعالى في الرؤيا وإنما أخذ بأحد أمرين

= وأخرجه ابن إسحاق باختصار - سيرة ابن هشام ٣/ ٥-٨ .

وذكره الحافظ الهيثمي من رواية الإمام أحمد مختصرا قال : ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد ٦/ ١٠٧ .

وأخرجه الحاكم مختصرا وصححه وأقره الذهبي - المستدرك ٢/ ١٢٨-١٢٩ .

وأخرج الإمامان البخاري ومسلم خبر الرؤيا فقط من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه - صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٤٠٨١(٧/ ٣٧٤) ، صحيح مسلم ، رقم ٢٢٧٢(ص١٧٧٩) ، كتاب الرؤيا .

خُيِّر فيهما بعد ما استشار أصحابه، فلا حاجة إلى القول بأن الرؤيا نسخت كما قال بعض العلماء لأن ذلك لم يثبت، ولأن الرؤيا ليس فيها أمر صريح بأحد الأمرين.

وفي هذا الخبر مواقف منها:

أولا: اهتمام النبي ﷺ باستشارة أصحابه مع أنه قد رأى في الرؤيا ما يؤيد أحد الأمرين اللذين استشارهم فيهما، وهو الإقامة في المدينة وقتال الأعداء من داخلها، وهذا يبين لنا أهمية الشورى في أمور المسلمين وخاصة المهمة منها.

ومما يزيد هذا الموقف بهاء وعظمة أن النبي ﷺ نزل عن رأيه إلى رأي المخالفين له المتحمسين للقتال خارج المدينة، وهو بذلك يضرب مثلا عاليا للمسئولين من أمته بأن لا يصروا على رأيهم وإن رأوا أنه الأقرب إلى الصواب.

ثانيا: في هذا الخبر تصوير لشجاعة المسلمين واندفاعهم القوي نحو الجهاد الذي هو مظنة ذهاب النفوس أو بعض الأعضاء، وحينما تأتي الأوامر من النبي ﷺ بالخروج للقتال فإن الاستجابة قد تكون من باب الطاعة وتنفيذ الأمر، ولكن حينما يكون رأي النبي ﷺ في لزوم المدينة والتحصن بها ثم يندفع هؤلاء المتحمسون إلى طلب الخروج فإن ذلك لا يفسَّر إلا بأنه شوق بالغ إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن وراء ذلك الشوق العظيم إلى الظفر برضوان الله تعالى والجنة.

ونجد أن هؤلاء الصحابة يندفعون إلى الجهاد مع ما ظهر لهم في تأويل النبي ﷺ لرؤياه بأن جماعة من صحابته سيقتلون، والصحابة

يعلمون أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق، فلم يكن ذلك مثبطا لهم عن الخروج، بل كان بضد ذلك حافزا قويا لهم على الخروج للجهاد لأن الشهادة في سبيل الله تعالى هي أسمى أمانيهم.

ثالثا: في هذا الخبر موقف حازم قوي لرسول الله ﷺ حيث قال: «لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه» فالمشورة وتبادل الرأي قبل العزم الأخير الذي يصل إلى حد التصميم والذي تمثل في هذا الموقف بلبس النبي ﷺ آلة الحرب و استعداده لذلك، وفي هذا درس بليغ للقادة ليجتنبوا حياة التردد الذي يفضي إلى الشقاق وفتور الحماس، وإذا وقع الشقاق ضاع أهم عامل من عوامل القوة وهو اجتماع الكلمة، وإذا فتر الحماس ضعف مستوى الأداء وبذل الطاقة.

ففي هذا الخبر يتعلم القادة أمرين مهمين:

أحدهما التخلق بخلق التواضع الذي من آثاره إتاحة الفرصة للأفراد من أهل الرأي أن يدلوا بآرائهم عن طريق الشورى، ثم الوصول بعد ذلك إلى الرأي الذي يتم ترجيحه.

الآخر استعمال الحزم والثبات على القرار الذي يتم اتخاذه أثناء مجلس الشورى.

وهذان الأمران بينهما تناقض في الظاهر حيث إن أحدهما يأخذ جانب اللين والآخر يأخذ جانب الشدة، ولكن الأمر ليس كذلك لاختلاف الحالين في الأمرين، فاللين كان سائغا في مجال الشورى لاستخراج آراء أهل الرأي ثم التوصل إلى أفضلها، والشدة أصبحت سائغة بعد اتخاذ القرار لضمان وحدة الجماعة والحفاظ على معنويات الأمة في أرقى مستوياتها.

* * *

٥-خروج النبي ﷺ إلى أحد وما فيه من مواقف

١-قال محمد بن عمر الواقدي في سياق رواية له: ومضى رسول الله ﷺ حتى أتى الشيخين[١] فعسكر به. وعُرِض عليه غلمان: عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنعمان بن بشير، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعرابة بن أوس، وأبو سعيد الخدري، وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج. فردهم. قال رافع بن خديج، فقال ظُهَيْر بن رافع: يا رسول الله إنه رام! وجعلت أتطاول وعلي خُفَّان لي. فأجازني رسول الله ﷺ.

فلما أجازني قال سمرة بن جندب لربيبه مُرَيّ بن سنان الحارثي، وهو زوج أمه: يا أبة، أجاز رسول الله رافع بن خديج وردني، وأنا أصرع رافع ابن خديج فقال مري بن سنان الحارثي: يارسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه. فقال رسول الله ﷺ: تصارعا! فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله ﷺ وكانت أمه امرأة من بني أسد[٢].

في هذا الخبر مثل جيد على حب الصحابة رضي الله عنهم للجهاد، وارتفاع مستواهم التربوي، حيث حببوا الجهاد لأبنائهم فأصبح غلمانهم يتسابقون إلى ميادين الجهاد.

وتتبدى هذه المظاهر المتأصلة في نفوس هؤلاء الغلمان في خروجهم مع جيش المسلمين، وكلهم أمل في أن يجيزهم رسول الله ﷺ وأن

(١) هو موضع بين المدينة وجبل أحد.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢١٦.

وأخرجه ابن هشام في السيرة ٣/ ١٢.

يشاركوا في الجهاد، كما تتبدى في إلحاح رافع بن خديج على ولي أمره ليقنع النبي ﷺ بالسماح له بالجهاد بحجة أنه يجيد الرماية، ويشفق على نفسه من رد النبي ﷺ بالرفض فينتصب قائما على أصابع قدميه ليبدو طويلا قد بلغ مبلغ الرجال مخفيا هذا التطاول بخفيه السابغين اللذين يخفيان عقبيه، ويتم فوزه بإجازة النبي ﷺ إياه.

وتأخذ الحسرة سمرة بن جندب الذي رُدَّ مع الغلمان، ويعصف به الشوق إلى الجهاد فَيُدْلي بمسوِّغ آخر للقبول، أوَلَيس يصرع رافعا؟ فهو إذًا أقوى منه وما دام الأمر كذلك فهو أحق منه بالإجازة، ويهمس بذلك في أذن وليه، فينطلق بها إلى النبي ﷺ فرحا مسرورا بظفر ابنه بذلك المسوغ، ويتصارعان بأمر النبي ﷺ ويتم لسمرة ما أراد من تلك الإجازة.

إن فرحة هذين الغلامين وأمثالهما بالمشاركة في الجهاد تفوق كل ما يخطر على بال أقرانهم من أسْرَى المباهج الدنيوية والأهداف القريبة، وذلك شاهد على ارتفاع مستوى المجتمع الإسلامي آنذاك في المُثُل السامية والقيم العالية.

٢-قال الواقدي في سياق روايته:

واستعمل رسول الله ﷺ على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلا، يطوفون بالعسكر حتى أدْلَج رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. وكان المشركون قد رأوا رسول الله ﷺ حيث أدلج ونزل بالشيخين، فجمعوا خيلهم وظَهْرهم واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبي جهل في خيل من المشركين، وباتت صاهلة خيلهم لا تهدأ، وتدنو

(١) أي سار ليلا.

طلائعهم حتى تلصق بالحرة، فلا تصعد فيها حتى ترجع خيلهم، ويهابون موضع الحرة ومحمد بن مسلمة(١).

وهذا موقف يذكر لمحمد بن مسلمة ومن معه من الحرس رضي الله عنهم، حيث حفظوا الجيش الإسلامي من أعدائهم تلك الليلة.

قال الواقدي في سياق روايته:

وقد كان رسول الله ﷺ قال حين صلى العشاء: من يحفظنا هذه الليلة؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: من أنت؟ قال: ذكوان بن عبد قيس. قال: اجلس. ثم قال رسول الله ﷺ: من رجل يحفظنا هذه الليلة؟ فقام رجل فقال: أنا. فقال: من أنت؟ قال أنا أبوسبع. قال: اجلس. ثم قال رسول الله ﷺ: من رجل يحفظنا هذه الليلة؟ فقال رجل فقال: أنا. فقال: ومن أنت؟ قال: ابن عبد قيس. قال اجلس. ومكث رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: قوموا ثلاثتكم. فقام ذكوان بن عبد قيس، فقال رسول الله ﷺ: أين صاحباك؟ فقال ذكوان: أنا الذي كنت أجبتك الليلة. قال: اذهب، حفظك الله! قال فلبس درعه وأخذ دَرَقَته، وكان يطوف بالعسكر تلك الليلة، ويقال كان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه (٢).

وهذا يعني أن النبي ﷺ قد كلف ذكوان بن عبد قيس بمهمة الحراسة داخل معسكر المسلمين، وهي تختلف عن مهمة محمد بن مسلمة وصحبه الذين كانوا يحرسون المعسكر من خارجه رضي الله عنهم

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢١٧.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢١٧.

أجمعين ، وكون هذا الصحابي الجليل ذكوان بن عبد قيس يجيب نداء النبي ﷺ ثلاث مرات معلنا اسمه في الأولى ومتنكرا في الأخيرتين دليل على اهتمامه البالغ بتقديم تلك الخدمة العسكرية لرسول الله ﷺ وأصحابه ، وذلك من التسابق إلى الخير والتنافس في العمل الصالح .

٤-قال الواقدي في سياق روايته :

ونام رسول الله حتى ادَّلج[١] ، فلما كان في السحر قال رسول الله ﷺ : أين الأدلاَّء؟ مَنْ رجل يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كثب؟[٢] فقام أبو حثمة الحارثي فقال : أنا يا رسول الله . ويقال أوس بن قيظي ، ويقال مُحَيِّصة وأثبت ذلك عندنا أبو حثمة .

قال : فخرج رسول الله ﷺ فركب فرسه ، فسلك به في بني حارثة ، ثم أخذ في الأموال[٣] حتى يمر بحائط مرْبَع بن قيظي ، وكان أعمى البصر منافقا ، فلما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه حائطه قام يحثي التراب في وجوههم وجعل يقول : إن كنت رسول الله فلا تدخل حائطي . فيضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوس في يده . فشجه في رأسه فنزل الدم ، فغضب له بعض بني حارثة ممن هو على مثل رأيه . فقال : هي عداوتكم يا بني عبد الأشهل ، لا تدعونها أبدا لنا . فقال أسيد بن حضير : لا والله ، ولكنه نفاقكم . والله لولا أني لا أدري ما يوافق النبي ﷺ

---

(١) ادَّلج بتشديد الدال سار آخر الليل .

(٢) أي قرب .

(٣) أي البساتين .

من ذلك لضربت عنقه وعنق من هو على مثل رأيه! فأسكتوا[1].

في هذا الخبر موقفان:

الأول: ما كان من سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه حينما غضب لله تعالى ولرسوله ﷺ فقام بتأديب ذلك المنافق.

والموقف الثاني لأسيد بن حُضير رضي الله عنه حينما قضى على ذلك الجدل القبلي الذي أثاره أحد المنافقين وذلك بالتهديد باستعمال القوة في القضاء على ذلك المنافق وأمثاله لو سمح النبي ﷺ بذلك.

٥-قال ابن اسحاق: حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، وما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو ين حرام، أخو بني سلمة يقول: يا قوم أذكِّركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال.

قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه[2].

في هذا الخبر مواقف وعبر فمنها:

أولا: أن فيه درسا بليغا للمسلمين ليأخذوا العبرة مما جرى من أولئك

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢١٨.

وأخرجه ابن إسحاق وذكر نحوه - سيرة ابن هشام ٣/ ١٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٩.

المنافقين الذين خذلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين وهم في أحرج المواقف وأمام هذا الحادث المهم ترد بعض التساؤلات حول تصرفات المنافقين الغريبة في هذه المعركة، فقد خرجوا مع المؤمنين أولاً ثم لما كانوا في أثناء الطريق رجعوا إلى المدينة بصورة تثير الشبهة عليهم وتبعث على الشك فيهم، فلماذا خرجوا مع المؤمنين ما داموا لايريدون نصرة الإسلام والمسلمين؟ ولماذا رجعوا من أثناء الطريق؟ والجواب أن يقال: يحتمل أنهم خرجوا من أجل الغنائم فيما إذا كان النصر للمسلمين فلما رأوا ضخامة جيش الكفار أصيبوا بالرعب وامتلأت قلوبهم ذعرا فرجعوا ولم يدخلوا المعركة.

ويحتمل أنهم خرجوا مبالغة منهم في ستر نفاقهم ثم أصيبوا بالرعب فلم يستطيعوا الاستمرار في تمثيل هذا النفاق الذي سيكلفهم تضحيات كبيرة، فرجعوا إلى المدينة مفضلين مواجهة نقمة المؤمنين المحتملة فيما إذا بقي لهم كيان بعد المعركة على مواجهة الموت المحقق في نظرهم على يد الكفار.

ويحتمل أنهم كانوا يسيرون على خطة مرسومة، وذلك في أن يخرجوا مع المؤمنين فإذا ما شارفوا على الوصول إلى الأعداء رجعوا محاولين بذلك التخذيل عن النبي ﷺ بإثارة الفزع والخوف بين المؤمنين.

كل ذلك محتمل، ولكن الذي يظهر أنهم لم يتفقوا على خطة مرسومة وهم في المدينة لأن النبي ﷺ حينما استشار الناس في الخروج أو البقاء وسمع رأي الفريقين دخل بيته ولبس لأمته وأمر الناس بالخروج، فليس هناك وقت كاف لاجتماع المنافقين واتفاقهم

على مثل هذه الخطة فالظاهر أنهم خرجوا نفاقا وربما كان لهم أو لبعضهم هدف في الغنيمة فلما رأوا جيش الكفار أصيبوا بالرعب فانسحب زعماؤهم وتبعهم من هو على شاكلتهم في النفاق ومن لم يتمكن الإسلام من قلبه فافتتن في ذلك اليوم ونافق، وربما كانوا يدبرون خطة الانسحاب في تلك الليلة التي بات فيها جيش المؤمنين قريبا من جيش الكفار على نحو يثير الفزع والاضطراب في في جيش المؤمنين حتى يرجع معهم أكبر قدر ممكن منهم ليحصل الفشل في المسلمين فينهزموا أمام أعدائهم، ، وليتفادَوا نقمة المؤمنين بهم فيما إذا انتصروا إذا كان عددهم كبيرا.

ولقد حصل لهم بعض ما أرادوا حيث رجع ثلث الجيش الإسلامي في ذلك اليوم وليس من المقطوع به أن جميع أولئك الذين رجعوا كانوا منافقين قبل ذلك بل يحتمل أن بعضهم كفروا في ذلك اليوم ثم أخفوا كفرهم عن المؤمنين.

وعلى أي حال فرجوع عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين في ذلك اليوم يعتبر خيانة مكشوفة ودليلا واضحا على نفاقهم، وهذا من أوضح الأدلة على ما يبيته المنافقون للمؤمنين من الشر والنوايا السيئة[1].

ولقد تبين من الحوار الذي جرى بين عبد الله بن عمرو بن حرام والمنافقين أن هؤلاء المنافقين متناقضون، فبينما يقول عبد الله بن أبَيّ لحزبه من أهل النفاق في بيان سبب انسحابه: «أطاعهم وعصاني وما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس» نراه يقول هو وجماعته لعبد

---

(١) من كتاب «المنافقون في القرآن الكريم» للمؤلف ص ١٢٤ .

الله بن عمرو بن حرام: «لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال»، وهذا كلام لا يقوله عاقل يزن كلامه، لأن أي عاقل يدرك أن قريشا لم يخرجوا إلا لقتال، ثم إنه إذا كان يغلب على ظن هؤلاء المنافقين أنه لن يكون قتال فلماذا رجعوا وقال بعضهم لبعض: علام نقتل أنفسنا؟. وما أجابوا به عبد الله بن عمرو بن حرام قد أثبته الله سبحانه على سبيل التوبيخ لهم بقوله ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[**آل عمران**: ١٦٧، ١٦٨]

ثانيا: موقف جليل لعبد الله بن حرام رضي الله عنه حيث سار خلف عبد الله بن أبي بن سلول ومن تبعه من المنافقين يرغبهم في الجهاد في سبيل الله تعالى، ويبعث فيهم النخوة والشهامة للدفاع عن بلدهم وأعراضهم وأموالهم إن لم يكن بهم رغبة في الجهاد في سبيل الله تعالى، وما زال يلح عليهم بالرجوع حتى وصلوا إلى المدينة فدعا عليهم دعاء المعتز بدينه الواثق بنصر الله تعالى لأوليائه مُظْهِراً لهم حقارة أمرهم وعدم احتياج المسلمين لنصرتهم.

وهكذا كان عبد الله بن عمرو بن حرام حكيما عظيم التقدير للأمور، فحينما دعاهم إلى الرجوع ذكَّرهم بوجوب النصرة وفظاعة الخذلان، فلما أن أصروا على الانسحاب بين لهم استغناء المؤمنين عنهم وأشعرهم بهوان أمرهم حتى لا يحملهم الغرور على تحقير المؤمنين وإثارة القلق والرعب في الذراري والنساء وأهل الأعذار.

٦- قال ابن هشام: وذكر غير زياد عن محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الأنصار يوم أحد قالوا لرسول الله ﷺ: يارسول الله ألا نَسْتعين بحُلفائنا من يَهود؟ فقال: لاحاجة لنا فيهم [١].

وهذا الموقف الحذر من رسول الله ﷺ من اليهود يدلنا على بُعْد نظره، فهو يعلم من عداوة اليهود للمسلمين ما لايعلمه الأنصار الذين يظنون أن حلف اليهود لهم وهم في جاهليتهم قد بقي على ما هو عليه بعد إسلامهم، والحال أن اليهود أشد عداوة لهم من المشركين ولكنهم يبطنون العداوة ويتربصون بالمؤمنين الفرص المناسبة ليفتكوا بهم، وقد أبانت الأيام بعد ذلك بـُعْد نظر النبي ﷺ وصدق تقديره للأمور، كما سيأتي بيان صور من غدر اليهود.

٧- قال ابن إسحاق في سياق روايته: ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد، في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سرَّحت قريش الظهر والكراع [٢] في زروع كانت بالصمغة، من قناة للمسلمين فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أتُرعَي زروع بني قيلة [٣] ولمَّا نضارب!

وتعبَّى رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سبع مائة رجل، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير، أخا بني عمرو بن عوف وهو مُعلَم يومئذ بثياب

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٩ . وزياد هو البكائي شيخ ابن هشام.

(٢) الظهر الإبل، والكراع هنا الخيل.

(٣) يعني الأوس والخزرج.

بيض، والرماة خمسون رجلا، فقال: انْضَح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أوعلينا فاثبت مكانك لانؤتينَّ من قَبلك.

وظاهَرَ رسول الله ﷺ بين درعين(١) ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار (٢).

في هذا الخبر مواقف وعبر منها:

أولاً: حسن اختيار رسول الله ﷺ لمكان المعركة وبُعْد نظره في التخطيط الحربي، فالمسلمون كانوا مشاة بينما يتفوق عليهم المشركون بسلاح الفرسان الذين يبلغون مائتين وهم الذين يتقدمون في الهجوم عادةً فالمشركون قد اختاروا الأرض الصالحة للطراد والكر والفر فأبعدوا عن الجبل حتى يستفيدوا من فرسانهم، لكن الرسول ﷺ اختار الأرض المجاورة لجبل أحد ليعوق من سرعة الخيل ويحرم المشركين من الاستفادة الكاملة من فرسانهم.

هذا إلى جانب كون جبل أحد بارتفاعه ومنعرجاته يعتبر حصنا وملجأ للمسلمين فيما لو أصيبوا من أعدائهم.

ولما كان ذلك الموقع الحصين يشتمل على ثغرة خطيرة يمكن للأعداء

---

(١) أي لبس درعا فوق درع.

(٢) سيرة ابن هشام ١٠/١١.

وأخرج الإمام البخاري خبر الرماة ضمن خبر رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن غزوة أحد - صحيح البخاري، المغازي، رقم ٤٠٤٣ (٧/ ٣٤٩).

وخبر مظاهرة الرسول صلى الله عليه وسلم بين درعين أخرجه الحافظ أبو يعلى، ذكره الحافظ الهيثمي وقال: ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد ٦/ ١٠٨ -.

أن ينفذوا منها إلى جيش المسلمين فإن رسول الله ﷺ قد رتب فيها أمر الحماية حيث أمر خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير بالمرابطة فوق جبل عينين الصغير المطل على تلك الثغرة ليصدوا جيش الأعداء فيما لو جاؤوا المسلمين من خلفهم.

ثانيا: كون النبي ﷺ تحصن بدرعين دليل على مشروعية الاحتياط للنفس، وأن أخذ الأسباب لا ينافي التوكل على الله جل وعلا.

وقد فعل النبي ﷺ ذلك مع أن الله تعالى قد عصمه من الأعداء لأنه مشرع لأمته فهو يفعل ما يشرع لكل مسلم أن يفعله حيث إنه قدوة عليا لكل المسلمين.

* * *

٦- موجز في تلخيص أحداث المعركة

حيث إن الاستفادة الكاملة من مواقف النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم تترتب على تصور أحداث المعركة، ونظرا لأن المعركة مرت بمرحلتين فإني رأيت تقديم موجز يبين أحداثها الأساسية بمرحلتيها.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة انتصار المسلمين على المشركين، وقد بدأت بالمبارزة، حيث برز من المشركين طلحة بن أبي طلحة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله.

ثم بدأت الحرب بين الفريقين، وركز أبطال المسلمين من المهاجمين والرماة على حَمَلة لواء المشركين وهم سبعة من بني عبد الدار حتى قتلوهم متتابعين، فسقط اللواء وحمله «صؤاب» وهو غلام لبني عبد الدار.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلاثوا به، وكان اللواء مع صؤاب غلام لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قطعت يداه، ثم برك عليه يقاتل، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعززت - يقول: أعذرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فخرتم باللواء، وشرُّ فخر ... لواء حين رُدَّ إلى صُؤاب

جعلتم فخركم فيه لعبد ... وألأم من يطا عفر التراب[1]

---

(١) العفر ظاهر التراب.

ظننتم، والسفيه له ظنون وما إن ذاك من أمر الصواب

بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حمر العياب[1]

وفي هذا الخبر إشادة بجهاد الصحابة رضي الله عنهم يسجله بشعره حسان بن ثابت رضي الله عنه مع هجاء المشركين وتوبيخهم على موقفهم الانهزامي في بداية المعركة.

وشعْر شعراء المسلمين - وخاصة حسان - له أثر كبير في إغاظة المشركين بعد انقضاء المعركة لأنه تسير به الركبان ويتسامع به العرب، وكان العرب آنذاك شديدي الحساسية من الاتهام بالجبن والفرار من المعارك.

وما زال المسلمون يطاردون المشركين حتى هزموهم وأبعدوهم عن نسائهم وأثقالهم، بالرغم من كون المسلمين جميعا مشاة، بينما كان المشركون يتفوقون بالفرسان.

وقد جاء في رواية أخرجها الإمام الطبري من حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة: . . . واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين، فأنزل الله عز وجل نصره وصدَقهم وعده فحسُّوهم [2] بالسيوف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة لا شك فيها [3].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧ - ٢٨.

(٢) يعني استأصلوهم.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٥١٣.

وهذا الخبر يبين عظمة الصحابة رضي الله عنهم وبلاءهم العظيم في الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد كانوا أقل من ثلث الكفار وكانوا مشاة فتصدوا لفرسان الكفار حتى هزموهم في بداية المعركة.

وقد جاء في هذا الخبر الإشادة بجهاد أبي دجانة وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهؤلاء ليسوا إلا نماذج من أبطال الصحابة الذين كان لهم دور كبير في سرعة كسب المعركة لصالح المسلمين وقد أَفَرْدْتُ لهؤلاء الصحابة وغيرهم مواقف خاصة تدل على شجاعتهم ومواقفهم البطولية.

ولقد ذكر الله تعالى انتصار الصحابة هذا بقوله ﴿ **ولقد صَدَقَكُمُ الله وعده إذ تَحُسُّونهم بإذنه** ﴾ [1] والمراد بهذا الوعد هو ما وعدهم الله تعالى به من النصر على لسان رسوله ﷺ وهو قوله لهم حينما عزم علي الخروج للقتال: انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم [2].

المعنى: ولقد صدقكم الله ما وعدكم به رسوله ﷺ من النصر إذا صبرتم إذ تستأصلونهم قتلا بحكمه تعالى وقضائه وتسليطه إياكم عليهم[3].

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة إصابة المسلمين، وتبدأ هذه المرحلة من الخلل الذي أحدثه أكثر الرماة.

---

(١) سورة آل عمران / ١٥٢.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢١٤.

(٣) تفسير الطبري ٤/ ١٢٧.

وقد تبين لنا أن النبي ﷺ أمر خمسين من الرماة بأن يقفوا فوق جبل عينين ليحولوا بين الكفار والهجوم على المسلمين من خلفهم وأنه قال لهم « إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا »، وأنهم لما رأوا المسلمين انتصروا واشتغل بعضهم بجمع الغنائم اختلفوا فرأى أكثرهم النزول بحجة أن المعركة انتهت لصالح المسلمين ولم يطيعوا قائدهم عبد الله بن جبير الذي ذكَّرهم بعهد النبي ﷺ لهم بأن لا يبرحوا الجبل على أي حال كان عليها المسلمون فنزل منهم أربعون، فلما رأى المشركون قلة من بقي من الرماة على الجبل أغاروا على المسلمين بخيولهم من خلفهم فارتبك المسلمون والتبس الأمر عليهم حتى صار بعضهم يواجه بعضا وهم لا يدرون.

يقول رافع ين خديج : فكنا أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا ، واختلط المسلمون، وصاروا يُقتَلون ويضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بما يصنعون من العجلة والدهش، ولقد جُرح يومئذ أسيد بن حضير جرحين، ضربه أحدهما أبو بردة وما يدري، يقول : خذها وأنا الغلام الأنصاري! قال : وكر أبو زعنة في حومة القتال فضرب أبا بردة ضربتين ما يشعر، إنه ليقول : خذها وأنا أبو زعنة! حتى عرفه بعد. فكان إذا لقيه قال : انظر إلى ما صنعت بي. فيقول له أبو زعنة : أنت ضربت أسيد بن حضير ولا تشعر، ولكن هذا الجرح في سبيل الله. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ : هو في سبيل الله يا أبا بردة، لك أجره حتى كأنك ضربك أحد من المشركين؛ ومن قتل فهو شهيد(١).

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٣ .

وأخرج الواقدي من حديث أبي بشير المازني، قال: لمّا صاح الشيطان أزَبّ العَقَبَة [(١)] إنَّ محمداً قد قُتل، لمّا أراد الله عز وجل من ذلك، سُقط في أيدي المسلمين وتفرقوا في كل وجه، وأصعدوا في الجبل [(٢)].

ولما رأى المنهزمون من مشاة الكفار فرسانهم قد أغاروا من خلف المسلمين تراجعوا إلى ميدان المعركة، وأصبح المسلمون بين فرسان المشركين من خلفهم ومشاتهم من أمامهم، وكان يمكن أن يقع المسلمون في طوق رهيب داخل معسكر المشركين لولا أن المسلمين أدركوا الخطر فهجموا بقوة وضراوة على فرسان المشركين فعقروا بعض خيولهم وقتلوا منهم عددا وسقط من المسلمين شهداء، ولكنهم استطاعوا الإفلات من تطويق الكفار.

وفي أثناء ذلك أشيع بأن النبي ﷺ قد قتل، وكان الشيطان قد نادى بذلك كما جاء في بعض الروايات، فدهش المسلمون وتحيروا واضطرب أمرهم، وتعددت اجتهاداتهم.

وقد تصور الشيطان بصورة أحد الصحابة، وفي ذلك يقول رافع بن خديج رضي الله عنه: وأقبل جُعال بن سراقة وأبو بردة بن نيار وكانا قد حضرا قتل عبد الله بن جبير وهما آخر من انصرف من الجبل حتى لحقا القوم؛ وإن المشركين على متون الخيل، فانتقضت صفوفنا.

ونادى إبليس وتصور في صورة جعال بن سراقة: إن محمدا قد قتل ثلاث صرخات، فابتُلي يومئذ جعال بن سراقة ببلية عظيمة حين تصور إبليس في صورته، وإن جعال ليقاتل مع المسلمين أشد القتال، وإنه إلى

---

(١) تقدم ذكره في بيعة العقبة حينما صاح بالمشركين يخبرهم باجتماع المسلمين.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٥.

جنب أبي بردة بن نيار وخوات بن جبير؛ فوالله ما رأينا دولة كانت أسرع من دولة المشركين علينا.

وأقبل المسلمون على جعال بن سراقة يريدون قتله يقولون: هذا الذي صاح «إن محمدا قد قتل». فشهد له خوات بن جبير وأبو بردة بن نيار أنه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح. وأن الصائح غيره. قال رافع: وشهدت له بعد (١).

١- قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ، فدُثَّ(٢) بالحجارة حتى وقع لشقِّه، فأصيبَتْ رباعيته، وشُجَّ في وجهه، وكُلِمَتْ شفته (٣)، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص.

قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: كُسِرَتْ رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم! فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٢٨] (٤).

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٢.

(٢) أي رمي.

(٣) أي جرحت.

(٤) وأخرجه الإمام البخاري مختصرا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - صحيح البخاري، المغازي، باب رقم ٢١ (الفتح ٧/ ٣٦٥).

٢- قال ابن هشام: وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري: أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما، ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده فقال رسول الله ﷺ « من مس دمي دمه لم تصبه النار »(١).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال: « من سره أن ينظر إلى من خالط دمي دمه فلينظر إلى مالك بن سنان » (٢).

وأخرج الإمام البخاري عددا من الأحاديث في خبر إصابة النبي ﷺ، فمن ذلك مارواه بإسناده عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ فقال أما والله إني لأعرف من كان

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٠.

(٢) المستدرك ٣/ ٥٦٤.

وذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه هذا الخبر من رواية ابن أبي عاصم والبغوي وابن السكن بأسانيد متصلة إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد ذكر الحافظ أن مالك بن سنان استشهد يوم أحد - الإصابة ٣/ ٣٢٥رقم٧٦٣٧- فيكون استشهاده في نهاية المعركة بعد هذه الحادثة رضي الله عنه.

يغسل جرح النبي ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دُوْوِيَ. قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي يسكب الماء بالمجَنّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم. وكُسِرَتْ رباعيته يومئذ، وجُرِح وجهه، وكُسرت البيضة على رأسه[1].

وقال الحافظ ابن حجر: ومجموع ما ذكر في الأخبار أنه ﷺ شُجَّ وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها، ورمي منكبه من ضربة ابن قمئة، وجحشت ركبته[2].

وقال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ كما ذكر لي ابن شهاب الزهري كعب ابن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذارسول الله ﷺ فأشار إلي رسول الله ﷺ: أن أنصت.

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين[3].

---

(١) صحيح البخاري، المغازي، رقم ٤٠٧٥ (الفتح ٧/ ٣٧٢) إنظر صحيح مسلم، الجهاد، رقم ١٧٩٠ (ص ١٤١٦).

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٧٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٤ - ٣٥.

وقال الواقدي: حدثني ابن سبرة، عن خالد بن رباح، عن يعقوب بن عمر بن قتادة، عن نملة بن أبي نملة - واسم أبي نملة عبد الله بن معاذ، وكان أبوه معاذ أخًا للبراء بن معرور لأمه - فقال: لما انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله ﷺ وما معه أحد إلا نُفَيْر، فأحدق به أصحابه من المهاجرين والأنصار وانطلقوا به إلى الشعب؛ وما للمسلمين لواء قائم، ولا فئة، ولا جمع، وإن كتائب المشركين لتحوشهم مقبلة ومدبرة في الوادي، يلتقون ويفترقون، ما يرون أحدا من الناس يردهم. فاتبعت رسول الله ﷺ فأنظر إليه وهو يؤم أصحابه؛ ثم رجع المشركون نحو عسكرهم وتآمروا في المدينة وفي طلبنا، والقوم على ما هم عليه من الاختلاف. وطلع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فكأنهم لم يصبهم شئ حين رأوا رسول الله ﷺ سالما[1].

وقال الواقدي: وحدثني موسى بن يعقوب، عن عمته، عن أمها، عن المقداد، قال: لما تصافقنا للقتال جلس رسول الله ﷺ تحت راية مصعب بن عمير، فلما قتل أصحاب اللواء وهُزم المشركون الهزيمة الأولى، وأغار المسلمون على عسكرهم فانتهبوا، ثم كروا على المسلمين فأتوا من خلفهم تفرق الناس، ونادى رسول الله ﷺ في أصحاب الألوية، فأخذ اللواء مصعب بن عمير ثم قتل. وأخذ راية الخزرج سعد بن عبادة، ورسول الله ﷺ قائم تحتها، وأصحابه محدقون به. ودفع لواء المهاجرين إلى أبي الروم العبدري آخر النهار، ونظرتُ إلى لواء الأوس مع أسيد بن حضير، فناوشوهم ساعة واقتتلوا على الاختلاط من الصفوف. ونادى المشركون بشعارهم: يا للعزى، يا لهبل! فأوجعوا والله

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩.

فينا قتلاذريعا، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا. لا والذي بعثه بالحق، إن رأيت رسول الله ﷺ زال شبرا واحدا، إنه لفي وجه العدو؛ وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة وتتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائمًا يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر حتى تحاجزوا.

وثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه، أربعة عشر رجلا، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار: أبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام؛ ومن الأنصار: الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ. ويقال ثبت سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة، فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير وسعد بن معاذ. وبايعه يومئذ ثمانية على الموت - ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: علي، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد.

ورسول الله ﷺ يدعوهم في أخراهم، حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من المهراس[1].

قال: وحدثني عتبة بن جبيرة، عن يعقوب بن عمرو بن

---

(١) قال السمهودي: مهراس الماء بجبل أحد، قاله المبرد، وهو معروف، أقصى شعب أحد، يجتمع من المطر في نُقَر كبار وصغار، والمهراس اسم لتلك النقر. (وفاء الوفا، ج٢، ص٣٧٨٩). عن هامش مغازي الواقدي.

قتادة، قال: ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودع[1].

وقال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه: وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ، وعرفهم المشركون بذلك: عبد الله بن شهاب، وعتبة بن أبي وقاص، وابن قمئة، وأُبَيّ بن خلف. ورمى عتبة يومئذ رسول الله ﷺ بأربعة أحجار وكسر رباعيته - أشظى [2] باطنها، اليمنى السفلى - وشج في وجنتيه حتى غاب حلق المغفر في وجنته وأصيبت ركبتاه فجُحشتا.

وكانت حُفَرٌ حفرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين، وكان رسول الله ﷺ واقفا على بعضها ولا يشعر به.

والثبت عندنا أن الذي رمى وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة، والذي رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص. وأقبل ابن قمئة، وهو يقول: دلوني على محمد، فوالذي يحلف به، لئن رأيته لأقتلنه! فعلاه بالسيف، ورماه عتبة بن أبي وقاص مع تجليل السيف، وكان عليه ﷺ درعان، فوقع رسول الله ﷺ في الحفرة التي أمامه فجحشت ركبتاه، ولم يصنع سيف ابن قمئة شيئا إلا وَهْن الضربة بثقل السيف، فقد وقع لها رسول الله ﷺ، وانتهض رسول الله ﷺ وطلحة يحمله من ورائه، وعليّ آخذ بيديه حتى استوى قائما [3].

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) أي كسر من باطنها كسرة.

(٣) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

وأخرج الحافظ أبو داود الطيالسي بإسناده عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كله يوم طلحة، ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد، فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله دونه - قال: أراه يحميه - قال، فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت يكون رجلا من قومي أحب إلي، وبيني وبين النبي ﷺ رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفا لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته، وشج في وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر؛ فقال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما» - يريد طلحة - وقد نزف، فلم نلتفت إلى قوله، وذهبت لأنزع ذلك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، فتركته وكره أن يتناولها بيده فيؤذي النبي ﷺ، وأزمَّ عليه[1] بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، ففعل كما فعل المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما[2]، فأصلحنا من شأن النبي ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض الجفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية وإذا قد قطع اصبعه، فأصلحنا من شأنه[3].

---

(١) أي عض عليه.

(٢) الهتم هو انكسار الثنايا من أصلها.

(٣) المطالب العاليه ٤/ ٢٢٤ - ٢٢٥ رقم ٤٣٢٧.

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها وصححه-المستدرك٣/ ٤٦٦- =

وأخرج الحافظ أبو يعلى من حديث عكرمة قال ، قال لي علي : لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد نظرت إلى القتلى فلم أرَ رسول الله ﷺ فيهم ، فقلت : والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى ، ولكني أرى أن الله غضب علينا بما عصينا ، فرفع نبيه فما لي خير من أن أقاتل حتى أقَتل ، فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم ، فأفرجوا لي ، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم [1] .

وقد تبين لنا من هذه الأخبار أن المسلمين أصيبوا بانتكاسة كبيرة في أثناء المعركة بعد أن حصل لهم النصر المؤزر على أعدائهم فتفرقوا واستُشهد منهم من استشهد وأفْرد النبي ﷺ بعدد قليل من أصحابه .

وتتلخص أسباب هذه الانتكاسة في أمرين : الأول هجوم فرسان المشركين عليهم من خلفهم ، والثاني إشاعة مقتل النبي ﷺ .

ولاشك أن خبر إشاعة مقتل النبي ﷺ كان له أثر كبير في نفوس الصحابة ، يدل على ذلك ما سيمر علينا من أخبارهم التي تفيد أنهم لما رأوا الرسول ﷺ حيًا نسوا جميع ما أصابهم .

وقد انقسم المسلمون إزاء هذه المصيبة إلى خمسة أقسام تقريبا :

القسم الأول : الذين فروا من ساحة المعركة ضعفا ، وقصدهم النجاة بأنفسهم ، وهؤلاء قليل جدًا ، وفيهم نزل قول الله تعالى ﴿إنَّ

= وذكره الحافظ ابن كثير من رواية الطيالسي - البداية والنهاية ٤/ ٣١ - .

وأخرجه الواقدي من حديث عائشة رضي الله عنها - المغازي ١/ ٢٤٦ - .

(١) المطالب العالية ٤/ ٢٢٣ رقم ٤٣٢٣ .

وقال المحقق : قال البوصيري : رواه أبو يعلى بإسناد حسن .

الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] .

القسم الثاني : الذين فروا نفاقا، وقصدهم النجاة بأنفسهم والإرجاف بالمؤمنين ، وقد نزل من الآيات القرآنية ما يثبت وجود المنافقين مع المسلمين في المعركة حيث لم يرجعوا جميعا مع ابن أبي ابن سلول ، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

القسم الثالث : الذين انسحبوا إلى الخلف في وادي أحد ليتدبروا أمرهم على بصيرة ، وكان أكبر همِّهم البحثُ عن رسول الله ﷺ ، ثم اجتماع كلمة المسلمين واتحاد قوتهم ، وهؤلاء هم معظم الجيش الإسلامي ، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

ولقد فاء هؤلاء سريعا على تفاوت بينهم منذ أن علموا بحياة النبي ﷺ ومقر وجوده وكوَّنوا مع من بقي من أفراد القسم الرابع والخامس التشكيل الأخير للجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ .

القسم الرابع : قوم رأوا أن واجبهم يقضي بالاستمرار في قتال الأعداء في ميدان المعركة حتى الموت ، وإن غلب على ظنهم عدم

الانتصار عليهم ، وقد كانوا ينادون بالموت على ما مات عليه رسول الله ﷺ على فرض أنه قد استشهد .

وهؤلاء قد رُويت أخبار بعضهم كما سيأتي ومنهم حمزة بن عبد المطلب وأنس بن النضر وسعد بن الربيع .

القسم الخامس : قوم كانوا قريبين من رسول الله ﷺ فعلموا بمكانه فكان هَمَّهُم الكبير القيام بحمايته والدفاع عنه ، ونالوا شرف ذلك ، ومنهم طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وأبو طلحة كما سيأتي في أخبارهم .

المواقف والعبر في هذه الأخبار :

الأول : مواقف لبعض الصحابة رضي الله عنهم في العناية بالنبي ﷺ وخدمته بعدما أصيب ، ومنهم طلحة بن عبيد الله وعلي بن أبي طالب اللذين رفعاه من الحفرة التي سقط فيها وأخذا بيده حتى وصل إلى المكان الآمن في الجبل ، ومنهم أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح اللذين تسابقا على نزع الحديد من وجه النبي ﷺ فنزعه أبو عبيدة وسقطت بذلك ثنيتاه ، ومنهم مالك بن سنان الخدري الذي مصَّ الدم من وجه النبي ﷺ ثم ابتلعه تعبيراً عن حبه الكبير لرسول الله ﷺ ، فكانت بشراه النجاة من النار ، وما أعظمها من بشرى ، وما أبلغه من ثمن !! .

الثاني : ما جاء في هذه الأخبار من أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في غَمٍّ شديد مما أصابهم من المشركين وما يتوقعونه منهم لو عادوا إلى متابعتهم والهجوم عليهم ، وأنهم لما طلع عليهم رسول الله ﷺ وهم في ذلك الغم الشديد نسوا كل شيء أصابهم وأهمَّهم ، فكأنهم لم

يصبهم شيء حين رأوه سالما ، وهذا تعبير عن منتهى ما يمكن تصوره من المحبة البالغة والشوق العظيم .

الرابع : الإشارة إلى جهود الفئة الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ في ساعات القتال الحرجة وفدوه بأنفسهم رضي الله عنهم .

الخامس : ما حصل للمسلمين في بداية المعركة ونهايتها فيه عبرة عظيمة ، فلقد ابتدأت بنصر الله إياهم ذلك النصر العظيم السريع الذي أثبته الله تعالى بقوله ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** ﴾ كما سبق ، وانتهت بخذلان الله تعالى إياهم كما جاء في هذه الآية في قوله ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [**آل عمران** : ١٥٢] .

فما أسباب ذلك النصر ؟ وما أسباب ذلك الخذلان ؟ !

أما أسباب الخذلان فقد ذكرها الله تعالى في هذه الآية بقوله ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم** ﴾ فهي أولاً : الفشل وهو الضعف والجبن ، وثانيًا : التنازع في الأمر وهو اختلاف الكلمة والتفرق ، وثالثًا : العصيان .

وقد حصل الفشل حينما اصطدم فرسان الكفار بجيش المسلمين من خلفهم فضعف بعضهم وفروا عن ميدان المعركة .

وحصل التنازع مرتين : الأولى حينما تنازع الرماة فرأى أكثرهم النزول وترك الموقع ورأى أميرهم ومن ثبت معه البقاء .

والثانية : حينما تفرق المسلمون بعد الهجوم عليهم ولم تتَّحد كلمتهم .

وحصل العصيان من الرماة الذين رفضوا طاعة أميرهم ، وذلك بالتالي يعتبر معصية للنبي ﷺ الذي أمره ، كما قد يكون حصل ممن سمعوا نداء النبي ﷺ بالالتفاف حوله وعرفوه فلم يطيعوه ، وهؤلاء لايُتَصوَّر أن يكونوا من المؤمنين بل هم من المنافقين الذين لم يرجعوا مع عبد الله بن أبي ابن سلول .

أما أسباب النصر فهي بضد أسباب الخذلان فالفشل ضده الشجاعة والصبر ، والتنازع ضده اتفاق الرأي واتحاد الكلمة ، والعصيان ضده الطاعة .

وقد سبق ذكر العنصر الأول في قول رسول الله ﷺ « امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم » .

وقد صبر المسلمون في بداية المعركة ، وكانوا مجتمعين على كلمة واحدة ، وأطاعوا رسول الله ﷺ ، فكان الله تعالى معهم ، فنصرهم نصرا حاسما سريعا .

فلما فشل بعضهم وتنازعوا وعصوا صرفهم الله عن المشركين وقدَّر إصابتهم ليختبرهم فيظهر المؤمنون على درجاتهم في الإيمان ، وليتميَّزوا عن المنافقين .

فالأمر لله جل جلاله من قبل ومن بعد ، والنصر والخذلان بيده وحده سبحانه .

فوائد من إصابة المسلمين :

قال الحافظ ابن حجر : قال العلماء : وكان في قصة أحد وما أصيب

به المسلمون فيها من الفوائد والحكَم الربانية أشياء عظيمة : منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي ، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه .

ومنها أن عادة الرسل أن تُبْتَلَى وتكون لها العاقبة كما تقدم في قصة هرقل مع أبي سفيان ، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائمًا دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب ، وذلك أن نفاق المنافقين كان مَخْفيًّا عن المسلمين ، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا ، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم .

ومنها أن في تأخير النصر في بعض ا لمواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها ، فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون .

ومنها أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها .

ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم .

ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك في كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ، ومحق بذلك الكافرين [1] .

* * *

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٤٧ .

٧ – مثل من الحرص على الشهادة
(عمر بن الخطاب وأخوه زيد)

أخرج الطبراني بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال لأخيه : خذ درعي يا أخي ، قال : أريد من الشهادة مثل الذي تريد ، فتركاها جميعا .

ذكره الحافظ الهيثمي وقال : ورجاله رجال الصحيح [١] .

وهذا مثل يضاف إلى الأمثلة السابقة التي تبين حرص الصحابة رضي الله عنهم على الشهادة في سبيل الله تعالى ، فقد أعطى عمر بن الخطاب أخاه زيداً – رضي الله عنهما – درعه ليَلقى العدو حاسراً فينال الشهادة فأجابه زيد بأنه هو أيضاً يريد الشهادة .

وقد علم الله تعالى صدق نيتهما في ذلك فمنحهما الشهادة بعد عمْر قضياه في إعلاء كلمة الله تعالى وخدمة المسلمين حيث استشهد زيد بن الخطاب في معركة اليمامة ، وساق الله جل وعلا الشهادة لأمير المؤمنين عمر في مسجد رسول الله ﷺ .

* * *

(١) مجمع الزوائد ٥/٢٩٨ .

٨ – موقف إيماني جليل –
(الأنصار يردون عَرْضَ أبي سفيان)

جاء في رواية للإمام الطبري من حديث ابن إسحاق قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سَلِمَة قال : . . . . وقد أرسل أبو سفيان رسولا ، فقال : يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم فإنه لاحاجة لنا بقتالكم ، فردوه بما يكره[١] .

وهكذا ظهر لون من ألوان خداع المشركين للمسلمين حيث أرادوا تفريق كلمتهم بمحاولة إقناع الأنصار بالتخلي عن رسول الله ﷺ ، وقد كان الكفار في غاية السذاجة في التفكير حينما تقدموا بهذا الطلب ، لأن من خَبر حال المؤمنين في ارتباطهم برسول الله ﷺ علم أنهم جميعا يفدونه بأرواحهم وأنه من المستحيل أن يستجيبوا لهذا الطلب .

ولقد كان موقفا جليلا للأنصار رضي الله عنهم حينما ردوا على المشركين بما يكرهون وأبانوا لهم قوة ارتباطهم برسول الله ﷺ واهتمامهم بحماية دينهم .

وهذا الموقف يعتبر تبكيتا للمشركين وتحطيما لمعنويتهم حيث أظهر الأنصار تصلبهم في حماية الإسلام مع ما يكلفهم ذلك من حرب شعواء تظهر للمتأمل المتجرد من الإيمان بتغليب كفة المشركين لكونهم أكثر عددا وأقوى عدة، ولكونهم موتورين جاؤوا لطلب الثأر، ولكون المدينة تشتمل على أعداء للمسلمين من اليهود والمنافقين.

❋ ❋ ❋

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٥١١ .

٩- مثل من الأماني السامية -
(خبر عبد الله بن جحش)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : روى البغوي من طريق إسحق بن سعد بن أبي وقاص : حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا تأتي فندعوا ! قال : فخلَونا في ناحية فدعا سعد، فقال : يا رب إذا التقينا اليوم غداً فلقِّني رجلا شديدا حَرْدُه أقاتله فيك ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه ، قال : فأمَّن عبد الله بن جحش ، ثم قال عبد الله : اللهم ارزقني رجلا شديدا حرده أقاتله فيك حتى يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلت : هذا فيك وفي رسولك فتقول صدقت ، قال سعد : فكانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط [١] .

وهكذا كانت أمنية عبد الله بن جحش رضي الله عنه أن ينال الشهادة وأن يمثل به الكفار لينال أجر ذلك بعد أن يقارع الأقران الأشداء، وقد استجاب الله تعالى دعاءه فنال الشهادة على الصورة التي أحبها .

لقد وفقه الله تعالى لهذا الدعاء لأنه سبحانه أراد أن يتخذ منه شهيدا

---

(١) الإصابة ٢/ ٢٧٨ ، رقم ٤٥٨٣ .

وأخرجه الحاكم من حديث سعيد بن المسيب قال قال عبد الله بن جحش . . وذكر نحوه ، وقال قال سعيد بن المسيب : إني لأرجو أن يبرَّ الله آخر قسمه كما بر أوله ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ، وقال الذهبي : مرسل صحيح - المستدرك ٣/ ١٩٩-٢٠٠ - ، وذكره الهيثمي من رواية الطبراني وقال : ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد ٩/ ٣٠١ - ٣٠٢ - .

مع إخوانه الشهداء الأبرار، ووفق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الدعاء المذكور الذي لم يشتمل على طلب الشهادة لأنه سبحانه أراد منه أن يُعَزَّ الإسلام وأهله وأن يذل الكفر وأهله على يديه، ولقد تأخر أجله حتى فتح الله تعالى به مملكة الفرس، وأعز به دولة الإسلام.

* * *

١٠- مواقف قيادية وبطولية -
(رسول الله ﷺ يعطي سيفه أبا دجانة)

أخرج الحافظ البزار بإسناده عن الزبير بن العوام قال عرض رسول الله ﷺ سيفا يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: يا رسول الله أنا آخذه بحقه فما حقه ؟[١] قال: فأعطاه إياه فخرج واتبعته فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه وهتكه حتى أتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند[٢] وهي تقول:

نحن بنات طارق[٣] نمشي على النمارق
والمسك في المفارق إن تُقبلوا نعانق
أو تُدبروا نفارق فراق غير وامق[٤]

قال: فحملت عليها فنادت ياَلصخْر[٥] فلم يجبها أحد فانصرفت عنها فقلت له: كل صنيعك رأيته فأعجبني غير أنك لم تقتل المرأة

---

(١) جاء جواب هذا الاستفهام في رواية ابن إسحاق وفي رواية الطبراني الآتية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن تضرب به العدو حتى ينحني » قال: أنا آخذه بحقه يارسول الله - سيرة ابن هشام ٣/١٢ - .

(٢) يعني هند بن عتبة .

(٣) قيل إن هذه الأبيات لهند بنت بياضة بن طارق الإيادي ، قالته حين لقيت إياد جيش الفرس ، وقد تمثلت به هند بنت عتبة هنا - عيون الأثر ٢/ ٢٥ - .

(٤) أي غير محب .

(٥) جاء في المطبوع من مجمع الزوائد « فنادت بالصحراء » والتصويب من رواية ذكرها الصالحي رحمه الله في « سبل الهدى والرشاد ٤/ ١٩٢ » وصخر هو اسم زوجها أبي سفيان بن حرب .

قال : فإنها نادت فلم يجبها أحد فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها [1].

وقال محمد بن يوسف الصالحي الشامي : وعند الطبراني عن قتادة ابن النعمان : أن عليا قام فطلبه فقال له : اجلس ، ثم قال رسول الله ﷺ : « من يأخذه بحقه ؟ » فقام أبو دجانة - بضم الدال المهملة وبالجيم والنون - فقال : يا رسول الله ، وما حقه ؟ قال : « أن تضرب به في العدو حتى ينحني » قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . قال « لعلك إن أعطيتكه تقاتل في الكَيُّول » [2] فأعطاه إياه .

وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكان له عصابة حمراء يُعْلم بها عند الحرب ، يعتصب بها ، فإذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . وهكذا كانت تقول إذا اعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه يتبختر : « إنها لَمشْية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

---

(١) ذكره الحافظ الهيثمي من رواية البزار وقال : ورجاله ثقات - مجمع الزوائد ٦/ ١٠٩ .
وأخرجه الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، رقم ٢٤٧٠ (ص ١٩١٧) .
وأخرجه الحاكم من حديث أنس والزبير رضي الله عنهما ، وصححه وأقره الذهبي - المستدرك ٣/ ٢٣٠ - ٢٣١ - .
وأخرجه الطبري من حديث الزبير رضي الله عنه - تاريخ الطبري ٢/ ٥١٠ - .
(٢) الكَيُّول هو آخر الصفوف .

قال الزبير : ولما أعطى رسول الله ﷺ السيف لأبي دجانة وجَدتُ في نفسي حين سألته فمنعني وأعطاه إياه، وقلت : أنا ابن صفية عمة رسول الله ﷺ ، وقد قمت إليه وسألته إياه قبله، فأعطاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع به، فاتبعته، فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ألاَّ أقوم الدهر في الكَيُّول أضْربْ بسيف الله والرسول

قال : فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه وفتكه، وفلق به هام المشركين، وكان إذا كَلَّ شحذه بالحجارة، ثم يضرب به العدو كأنه منْجَل، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله تعالى أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله.

في هذا الخبر مواقف منها :

أولا : ما قام به النبي ﷺ من شحذ الهمم والتحريض على القتال بصورة مؤثرة حيث رفع السيف فقال : «من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فكان من نصيب أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه، وكان من آثار ذلك أن عصب رأسه بعصابة الموت معلنا أنه سيبذل كل طاقته في القتال، ثم كان منه ما ذكره الزبير بن العوام وقتادة بن النعمان رضي الله عنهما، وذلك بما قام به من التنكيل بالأعداء والإثخان فيهم.

وهكذا يضرب الرسول ﷺ مثلا عاليا للقادة من بعده في محاولة استخراج كل الطاقات الكامنة في النفوس، والاستفادة منها في قضايا

الدعوة والجهاد، والتشهير بذوي البأس والنجدة ليتأسى المسلمون بهم، وإنزال الناس منازلهم في الإشادة بما لديهم من مواهب، وعدم مجاملة الآخرين وإن كانوا يقاربونهم في هذه المواهب أو يتفوقون عليهم في مواهب أخرى، أو يشاركونهم في نفس المواهب ولكن الموطن يتطلب أناسا بأعيانهم لهم أثر في استجاشة المشاعر وإلهاب الحماس، وهكذا كان مقام أبي دجانة في قومه وأثره في الحرب وإن كان الزبير وعلي لا يَقلان عنه بأسا ونجدة رضي الله عنهم.

ثانيا: اشتمل هذا الخبر على مواقف بطولية لأبي دجانة رضي الله عنه حيث فتك بالأعداء وتعرض لذوي البأس منهم، ولقد حقق بهذه المواقف العالية أمل النبي ﷺ فيه حينما اختصه بذلك السيف.

* * *

١١- موقف للأنصار في البراءة من الكفار - (الأوس يردون على أبي عامر)

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضُبَيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاما من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلا، وكان يَعدُ قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة فقال: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق، وكان أبو عامر يسمَّى في الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتلهم قتالا شديدا، ثم راضخهم بالحجارة[1].

في هذا الخبر موقف من مواقف الولاء والبراء، فقد ظهر ولاء الأنصار رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين من المهاجرين وبراءتهم من سيد من ساداتهم في الجاهلية كان موضع السمع والبصر في قومه الأوس حيث لم يبق من السادة الكبار بعد حرب بعاث إلا هو من الأوس وعبد الله بن أبي ابن سلول من الخزرج، فكان لَمَا لَه من شرف سابق فيهم يَعدُ المشركين بأن قومه سيطيعونه وينضوون إليه إذا التقى الصفان، ولكن الله تعالى خيب أمله بهذا الرد القوي الذي لقيه من قومه.

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٣.

وأخرجه الواقدي في مغازيه بنحوه - مغازي الواقدي ١/ ٢٢٣.

١٢- مواقف جهادية لعدد من الصحابة -

قال محمد بن سعد:

فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فالتقيا بين الصفين فبدره علي فضربه على رأسه حتى فلق هامته فوقع، وهو كبش الكتيبة، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك وأظهر التكبير، وكبر المسلمون وشدوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نغضت صفوفهم، ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة وهو أمام النسوة يرتجز ويقول:

إن علَى أهل اللواء حقا   أن تُخْضَب الصَّعدة أو تندقَّا

وحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره وبدا سحره، ثم رجع وهو يقول: أنا ابن ساقي الحجيج، ثم حمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فأدلع لسانه إدْلاع الكلب فقتله، ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله، ثم حمله الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله، ثم حمله كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام، ثم حمله الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله[1]، ثم حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب[2].

---

(١) جاء في رواية لابن إسحاق أن الذي قتل الجلاس هو عاصم بن ثابت - سيرة ابن هشام٣/ ٢٢-.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٤٠ - ٤١.

في هذا الخبر مواقف بطولية لعدد من الصحابة رضي الله عنهم:

الأول: موقف علي بن أبي طالب الذي قتل طلحة بن أبي طلحة العبدري مبارزة وكان مشهورا بالشجاعة، وهو كبش الكتيبة الذي جاء في رؤيا النبي ﷺ السابقة، وكان قتله فاتحة خير على المسلمين حيث فرحوا بذلك وهجموا على أعدائهم.

الثاني: مواقف الصحابة الآخرين الذين تتابعوا على قتل حملة اللواء، وقد تبين لنا من هذه المواقف شجاعة حمزة بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وبراعة سعد بن أبي وقاص وعاصم بن ثابت في الرماية.

وهذا التركيز الجيد من هؤلاء الصحابة على قتل حملة لواء المشركين كان المقصود منه تحطيم معنوية المشركين وإحداث الخلل في صفوفهم إذا سقط لواؤهم.

* * *

١٣- موقف لأبي بكر في تحقيق الولاءوالبراء -

قال الواقدي في سياق رواية له :

وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر على فرس، مدججا لا يُرى منه إلا عيناه، فقال : من يبارز ؟ أنا عبد الرحمن بن عتيق . قال : فنهض إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله، أبارزه . وقد جرد أبو بكر سيفه، فقال رسول الله ﷺ : شمْ سيفك، وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك[١] .

فهذا موقف لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في تحقيق مبدأ الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين وإن كانوا من أقاربه الأدنين، فقد كان مصمما على مبارزة ابنه عبد الرحمن الذي كان آنذاك مع الكفار، لولا أن الرسول ﷺ منعه من ذلك، وهذا دليل على وضوح العقيدة وصدق اليقين عند أبي بكر رضي الله عنه .

ولقد أسلم بعد ذلك عبد الرحمن وحسن إسلامه وأصبح من أكابر المسلمين رضي الله عنه .

* * *

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٧ .

١٤- مثل من شجاعة الحباب بن المنذر[١] -

أخرج الواقدي من حديث عمارة بن خزيمة قال: حدثني من نظر إلى الحباب بن المنذر بن الجموح وإنه لَيَحُوشُهم يومئذ كما تُحاش الغنم، ولقد اشتملوا عليه حتى قيل قد قتل، ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه، وجعل يحمل على فرقة منهم وإنهم ليهربون منه إلي جمع منهم، وصار الحباب إلى النبي ﷺ، وكان الحباب يومئذ معلما بعصابة خضراء في مغفره[٢].

هذا الخبر يدل على شجاعة الحباب بن المنذر رضي الله عنه ورباطة جأشه، حيث استطاع الصمود لفئة من الكفار وإلجائهم إلى الفرار منه لسرعة هجومه ومقدرته على التحرك في القتال في عدة اتجاهات.

إن وجود مثل هذا البطل في جيش المسلمين يُفزع الكفار ويملأ قلوبهم رعبا، ويجعلهم يترددون كثيراً قبل التفكير في مواجهة المسلمين.

* * *

---

(١) هو أبو عمرو الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي السَّلمي - الإصابة ١/ ٣٠٢رقم ١٥٥٢ -.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٧.

١٥ - (أخبار عمرو بن الجموح واليمان وثابت بن وقش)

١- قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن أشياخ من بني سَلِمَة : أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسْد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إنّ الله عزّ وجل قد عَذرك ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بَنيَّ يريدون أن يَحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فو الله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد[١] .

وأخرج خبره الإمام أحمد من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال : أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟- وكانت رجله عرجاء - فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقُتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولًى لهم ، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال : كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة ، فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجُعلوا في قبر واحد[٢] .

وذكره الحافظ الهيثمي وقال : ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة[٣] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٥ .

(٢) مسند أحمد ٥/ ٢٩٩ .

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ٣١٥ .

في هذا الخبر موقف لعمرو بن الجموح وذلك في إظهار شوقه الشديد للجهاد في سبيل الله تعالى ، مع أن الله سبحانه قد عذره في القعود بعرَجه الشديد ، ومن كان كذلك فإنه لايستطيع أن يجاهد بطاقة كاملة ، وإن كان الدافع الإيماني لديه قويا ، ومع كونه مصابا بهذا العذر ومع كونه قد قدَّم للجهاد بنين أربعة في غاية الشجاعة فإنه لم يقبل عرض بَنيه عليه بالقعود ورجا الله تعالى أن يطأ بعرجته تلك في الجنة ، وذلك بما يرجوه من نيل الشهادة .

ولما ذكر هذا الأمل لرسول الله ﷺ أبان له بأنه ممن عذر الله تعالى ولكنه أشار على بنيه بتمكينه من الخروج لعل الله تعالى أن يحقق له تلك الأمنية الغالية ، وقد تحقق له ما رجاه حيث قتل شهيدا رضي الله عنه .

ومع كونه شديد العرج فإنه قد أبلى في المعركة بلاء حسنا كما ذكر أبو طلحة ، وكان لايفارقه شعوره بالشوق إلى الجنة حتى استشهد رضي الله عنه .

٢- قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لَبيد قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد ، رُفع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمان أبو حُذيفة بن اليمان وثابت بن وقَش في الآطام[1] مع النساء والصّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك ، ما تنتظر ؟ فو الله ما بقي لواحد منَّا من عمره إلا ظمء[2] حمار ، إنما نحن هامةُ اليوم أوغد[3] ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول

(١) يعني الحصون .

(٢) أي مقدار مابين شربتي الحمار .

(٣) أي نموت اليوم أو غداً .

الله ﷺ ، لعلّ الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ؟ .

فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يُعلم بهما ، فأمَّا ثابت بن وَقَش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسيافُ المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله ﷺ أن يَديهُ ، فتصدق حُذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً[1] .

في هذا الخبر مواقف منها :

الأول : ما كان من ذينك الشيخين الكبيرين : حُسَيل بن جابر (اليمان) وثابت بن وقش الأنصاريين رضي الله تعالى عنهما ، حيث اشتاقت نفوسهما إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى ، فخرجا إلى الجهاد مع كونهما ممن عذرهم الله سبحانه بالقعود لكبر سنهما ، لكن دفعهما إلى الخروج رغبتهما في الشهادة التي هي غاية أماني المؤمنين المتقين ، وقد حصل لهما ما أرادا من ذلك رضي الله عنهما .

الثاني : موقف لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما حينما سامح المسلمين الذين قتلوا أباه خطأ وتصدق بديته على المسلمين ، مما أثار إعجاب النبي ﷺ به وزاد في مكانته عنده .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٠ ، وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق بإسناده وصححه على شرط مسلم - المستدرك ٣/ ٢٠٢ - .

وأخرجه الإمام البخاري باختصار من حديث عائشة رضي الله عنها - صحيح البخاري ، المغازي رقم ٤٠٦٥ (فتح الباري ٧/ ٣٦١) .

١٦- موقف جهادي لعاصم بن ثابت -

قال ابن إسحاق : وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقْلح فقتل مُسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة ، كلاهما يُشْعره سَهْمًا [١] ، فيأتي أمُّه سُلافة فيضع رأسه في حجْرها فتقول : يابُني من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رماني وهو يقول : خُذْها وأنا ابن أبي الأقْلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

وكان عاصم قد عاهد الله أن لايمس مُشركا أبداً ، ولايمسه مشرك[٢] .

فهذا الخبر يبين براعة عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري رضي الله عنه في الرماية ، فقد أصاب اثنين من حملة لواء المشركين هما مسافع والجلاس ابنا طلحة بن أبي طلحة العبدري ، وقَتْلُ حملة اللواء له أثره الكبير في النكاية بالأعداء وتفريق صفهم .

وقول الراوي : وكان عاصم قد عاهد الله أن لايمس مشركا ولايمسه مشرك أبداً ، إشارة إلى خبر سيأتي - إن شاء الله - بيانه في قصة استشهاده في سرية الرجيع .

* * *

(١) أي يصيبه بسهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٢ .

١٧ - مثل من أثر الجهاد في الإيمان -
(إسلام الأصيرم وجهاده)

قال ابن إسحاق : وحدثني الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة قال : كان يقول : حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصلّ قطُّ ، فإذا لم يعرفه الناسُ سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسولُ الله ﷺ إلى أُحد ، بدا له في الإسلام فأسلم ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة .

قال : فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرمُ ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لَمُنكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ، فقالوا : ماجاء بك ياعمرو ؟ أحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ثم أخذت سيفي فغدوتُ مع رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة [١] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٤ .

وذكره الحافظ ابن حجر في ترجمة عمرو بن ثابت من رواية ابن إسحاق وحسَّن إسناده - الإصابة ٢/ ٥١٩ ، رقم ٥٧٨٧ - .

وأخرجه الإمامان أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن عمرو بن أُقَيْش كان له ربًا في الجاهلية فكره أن يسلم حتى يأخذه . . ثم ذكر خبر مجيئه إلى أُحد [1] .

في هذا الخبر مثل واضح على أثر الجهاد في الإيمان بالله تعالى فهذا الأصيرم عمرو بن ثابت الأشهلي كان قبل يوم أحد منكرًا للإسلام مباعدًا لقومه من المسلمين ، فلما حضر ما حضر من غزو الكفار للمسلمين في بلادهم ، لا طمعاً في بلادهم وأموالهم وإنما فقط ليصرفوهم عن دينهم عظُم هذا الدين في نظر الأصيرم فدخل قلبه الإسلام ، وكان إيمانه قويا إلى الحد الذي حمله على المشاركة في الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، فلحق بقومه في أحد وقاتل الأعداء حتى استشهد رضي الله عنه .

لقد كان في حسِّ الأصيرم وأمثاله أن دينًا يحمل معتنقيه على التضحية بالأنفس والأموال من أجله ، ويحمل أعداءه على تجييش الجيوش من أجل القضاء عليه . . أنه دين عظيم في غاية الجلال والعظمة، وإن أدنى ذلك أن يسارع المقتنعون بعظمته إلى اعتناقه ، ثم أن يبذلوا وسعهم وطاقتهم في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

* * *

(١) سنن أبي داود ، الجهاد ، باب فيمن يسلم ويقتل رقم ٢٥٣٧ (٣/ ٤٣) ، المستدرك٣/ ٢٨ .

١٨ - إسلام مخيريق وجهاده -

قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخيريق ، وكان حَبْرًا عالمًا ، وكان رجلاً غنيًا كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلفُ دينه فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يومُ أُحُد وكان يومُ أُحد يومَ السبت ، قال : يامعشر يهود ، والله إنكم لتعلمون إن نصرَ محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يومُ السبت ، قال : لاسَبتَ لكم ، ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ وأصحابه بأحُد ، وعَهد إلى منْ وراءه من قومه : إنْ قُتلتُ هذا اليوم . فأمْوالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله ، فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل ، فكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - يقول : مخيريق خيرُ يهود . وقَبض رسولُ الله ﷺ أمواله ، فعامَّةُ صَدَقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها (١) .

في هذا الخبر بيان إسلام مخيريق أحد علماء اليهود ، وإنفاقه جميع ماله في سبيل الله تعالى ، وجهاده مع المسلمين واستشهاده . . مواقف عالية من هذا العالم الحَبْر تتابعت كلها في يوم واحد ، فقد كان يعلم أن رسول الله ﷺ هو الرسول الذي بشر به أنبياؤهم وأمروهم بالإيمان به ونصره إذا ظهر ، وقد تيقظ ضميره يوم أحد وتذكر وجوب نصر النبي ﷺ الذي تكالب عليه أهل الباطل ، فكان ذلك دافعا له إلى إعلان إسلامه .

ومثل هذا العالم يكون عادة مترددا بين قناعته بصدق دعوة النبي ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٢ ، ٣/ ٤٢ .

ووجوب اتباعه وبين مداراة قومه الذين كفروا به وناصبوه العداء ، ويكون الفكر المهيمن على هذا وأمثاله هو تأجيل البَتِّ في الأمر رجاء أن يقتنع علماء قومه بالإسلام فيدخل معهم ويجمع بين إرضاء ضميره وإرضاء قومه .

ولكن نزول ذلك البلاء بالمسلمين واحتياجهم الشديد للنصرة عجل بموضوع البت في القضية فأعلن مخيريق إسلامه أمام قومه وأمرهم بذلك .

ولقد كان إسلام هذا الرجل إسلام العالم الموقن فلم يكْتَف بمجرد الإسلام وإنما قام بإنفاق جميع أمواله في سبيل الله تعالى ، والمال من أعز المحبوبات لدى الإنسان فالخروج من المال دليل على قوة الإيمان بهذا الدين الذي خرج من أمواله في سبيله .

ثم لم يكتف بذلك وإنما خرج بنفسه للجهاد في سبيل الله تعالى ، وهذا دليل على ارتفاع مستوى الإيمان عنده حيث حمله على بذل نفسه بعد ماله في سبيل الله جل وعلا .

ولقد أكرمه الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم فنال أجرا عظيما في وقت قصير جدا .

* * *

١٩ – مثل من تعظيم الشهادة والشوق إليها –
(خبر حنظلة الغسيل)

أخرج محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه قالوا : وكان حَنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أُبي ابن سلول ، فأدخلتْ عليه في الليلة التي في صُبحها قتال أُحد . وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له ، فلمّا صلَّى الصبح غدا يُريد رسول الله ﷺ . ولزمته جميلة فعاد فكان معها ، فأجنب منها ثم أراد الخروج ، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقيل لها بَعْدُ : لمَ أشهدت عليه ؟ قالت : رأيت كأنّ السماء فُرِجَتْ فدخل فيها حنظلة ثم أطبقَت ، فقلت : هذه الشهادة ! فأشهدتْ عليه أنه قد دخل بها . وتَعْلَق بعبد الله بن حنظلة ، ثم تزوجها ثابت بن قيس بعدُ فولدت له محمد بن ثابت بن قيس .

وأخذ حنظلة بن أبي عامر سلاحه ، فلحق برسول الله ﷺ بأُحُد وهو يُسوّى الصفوف . قال : فلمّا انكشف المشركون اعترض حنظلة ابن أبي عامر لأبي سُفيان بن حرب فضرب عُرقوب فَرَسه فاكتسعت الفرس ، ويقع أبو سفيان إلى الأرض ، فجعل يصيح : يامعشر قُريش ، أنا أبو سفيان بن حَرب ! وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فأسمع الصوت رجالاً لايلتفتون إليه من الهزيمة حتى عاينه الأسود بن شَعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ، فمشى حنظلة إليه بالرمح وقد أثبته ، ثم ضربه الثانية فقتله . وهرب أبو سُفيان يعدو على قدميه فلحق ببعض قُريش ، فنزل عن صدر فَرسه وردف وراء أبي سُفيان .

قال : وقال رسول الله ﷺ : إني رأيت الملائكة تُغسِّل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المُزْن في صحاف الفضَّة .

قال أبو أسيد الساعديّ : فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسُه يقطُر ماءً ، قال أبو أُسَيد ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرَتْه أنه خرج وهو جُنُبٌ(١) .

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق ابن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنه مختصرا وجاء في آخره : فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسلته الملائكة (٢) .

في هذا الخبر مواقف وعبر منها :

الأول : في تعلُّق جميلة بنت عبد الله بن أبي بحنظلة بن أبي عامر حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة ، فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد عنه حتى لاتحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظيَّة لدى الخُطَّاب ، لكنها تعلقت به رجاء أن تحمل منه فتلد ولداً ينسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح باستقامته أوَّلا ثم بما ترجوه من نيله الشهادة .

ولقد حصل لها ما أمَّلت به فحملت منه وولدت ولداً ذكراً سمِّي عبد الله ، وكان له ذكرٌ بعد ذلك ، وكان من أعلى ما يفتخر به أن يقول : أنا ابن غسيل الملائكة .

وهكذا نجد ارتفاع مستوى الصحابة في النظر إلى رفعة الدين والعلو

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٧٣ .

(٢) المستدرك ٣/ ٢٠٤ ، وعبد الله المذكور في السند هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

في الآخرة واعتبار الأمور الدنيوية أمورا ثانوية خاضعة لأمر الدين .

الثاني : في شوق حنظلة القوي إلى الجهاد في سبيل الله تعالى ، الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان ، الأمر الذي لم يتمكن معه من غُسل الجنابة ، حيث اعتبر أن ذلك مما يعوقه عن الجهاد .

والذي يغلب على الظن أن امرأته جميلة قد أخبرته برؤياها ، وأنها قد جعلت من تلك الرؤيا مسوِّغا لإقناعه باللُّبث معها ذلك الوقت رجاء أن تَعْلَق منه بابن ينسب لذلك الشهيد الصالح ، إذ أنه يبعد أن تخبر بتلك الرؤيا الأباعد ولا تخبر بها زوجها ، خصوصا وأن رجاء الشهادة كان هدفا ساميا ومقصدا عاليا عند الصحابة رضي الله عنهم ، فيكون إسراعه بالخروج مع علمه بتلك الرؤيا شاهدا على قوة إيمانه ورسوخ يقينه ، وتكون استجابته لها لتغليب هذا المقصد السامي ليكون له عقب يرجو صلاحه ودعاءه الصالح ، لا لمجرد قضاء شهوة لاتخطر له على بال في الغالب وقد نزل بالمسلمين ما نزل .

الثالث : موقف جهادي كبير حينما تصدى حنظلة لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب والقائد غالبا يكون حوله من يحميه ، وهو فارس وحنظلة راجل ، ولقد كاد أن يقضي عليه لولا معاجلة الأسود بن شعوب له بطعنة من خلفه ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، لينال حنظلة الشهادة ، وليبقى أبو سفيان على قيد الحياة حتى يوفقه الله تعالى للإسلام بعد ذلك .

الرابع : عبرة عظيمة في نزول الملائكة عليهم السلام لتغسيل حنظلة

بمياه المزن في صحاف الفضة ، فإن هذا الخبر يدل على عظمة المؤمن ومنزلته العالية عند الله تعالى ، حيث أمر جلَّ وعلا ملائكته بالنزول لتطهير حنظلة لتصعد روحه إلى الملأ الأعلى وجسمه طاهر .

الخامس : في إخبار النبي ﷺ الصحابة بذلك معجزة بالغة حيث لم ير الصحابة الملائكة وماقاموا به من تغسيل حنظلة ، فرؤية النبي ﷺ ذلك من المعجزات النبوية .

* * *

٢٠ - موقف جليل في ثبات عبد الله بن جبير وأصحابه -

١ - أخرج الإمام البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرُّماة ، وأمَّر عليهم عبد الله [١] وقال : لاتبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا . فلما لقينا هربوا ، حتى رأيتُ النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سُوقهن قد بدت خلاخلهنَّ فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبدُ الله : عهد إلي النبيُّ ﷺ أن لاتبرحوا . فأبوا . فلما أبوا صُرِفَ وُجوهُهم ، فأصيب سبعون قتيلا[٢] . .

تقدم في رواية ابن إسحاق أن النبي ﷺ أمر خمسين من الرماة أن يبقوا فوق جبل عينين وأن يحرسوا المسلمين حتى لايأتيهم الأعداء من خلفهم ، فلما رأى الرماة انتصار المسلمين واشتغال بعضهم بحيازة الغنائم نادى بعضهم بعضا للنزول من الجبل ومشاركة المسلمين في جمع الغنائم ، فنهاهم قائدهم عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري ، فأطاعه تسعة منهم وظلوا معه مرابطين ونزل الآخرون إلى ساحة المعركة .

قال الواقدي : وحدّثني صالح بن خوات . عن يزيد بن رومان ، قال : قال خوات بن جبير : لما كرّ المشركون انتهوا إلى الجبل ، وقد عَرِيَ

---

(١) هو عبد الله بن جبير كما في رواية زهير عند البخاري (الفتح ٧/ ٣٥٠) .

(٢) صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٤٠٤٣ (٧/ ٣٤٩) .

من القوم ، وبقي عبد الله بن جبير في عشرة نفر ، فهم على رأس عينين فلما طلع خالد بن الوليد وعكرمة في الخيل ، قال لأصحابه[1] : انبسطوا نَشَرًا[2] لئلا يجوز القومُ ! فصفوا وجه العدوّ . واستقبلوا الشمس ، فقاتلوا ساعة حتى قُتل أميرهم عبد الله بن جُبير ، وقد جُرح عامَّتهم[3] .

وقال رافع بن خَديج : فلمّا انصرف الرُّماة وبقي من بقي ، نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلَّة أهله ، فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة في الخيل ، فانطلقا إلى بعض الرُّماة فحملوا عليهم . فراموا القوم حتى أصيبوا ، ورامى عبد الله بن جُبير حتى فنيت نَبْله ، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ، ثم كسر جَفَن سيفه ، فقاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه[4] .

في هذين الخبرين بيان ثبات أمير الرماة عبد الله بن جبير هو ومن بقي من الرماة ، وكانوا كما جاء في رواية خوات بن جبير عشرة ، ولقد حاول عبد الله جهده منع خيل المشركين من الاقتحام على المسلمين فنشر أصحابه في طريقهم ، ولكنهم كانوا أقل من أن يقفوا في وجه أولئك الفرسان ، فدخلوا معهم في معركة غير متكافئة كانت نتيجتها القضاء على أولئك الرماة والانطلاق نحو جيش المسلمين .

ولقد ضرب ابن جبير وصحبه في ذلك مثلا عاليا في طاعة رسول

---

(١) يعني عبد الله بن جبير .

(٢) أي منتشرين .

(٣) مغازي الواقدي ١/ ٢٨٤ .

(٤) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٢ .

الله ﷺ والتضحية بالنفس في سبيل حماية المسلمين .

لقد استعمل رضي الله عنه كل ما في جعبته من سلاح فرماهم بالنبل حتى فنيت سهامه ثم طاعنهم بالرمح حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه مُشعرًا أعداءه بأنه سيستقتل هو وأصحابه حماية للمسلمين ، وهذا يصور لنا قوة المقاومة التي شنها ابن جبير على الأعداء .

وقد يقال : ماقيمة عشرة مشاة في مقابل جيش من الفرسان ؟! أفلا انحازوا إلى جيش المسلمين ليحموا أنفسهم وليكثّروا الجيش الإسلامي؟! .

فيقال : إن هؤلاء أولًا من قوم لايُلقون بالاً لحماية أنفسهم ، بل إن أسمى أمانيهم أن يفوزوا بالشهادة في سبيل الله تعالى ، وثانيا هم يُنفِّذون أمر النبي ﷺ فهم لا يلتفتون إلى أي سلوك آخر يتعارض مع طاعة الأمر النبوي ، وثالثًا فإن وقوفهم في وجه الأعداء يؤخر هجومهم بعض الوقت وربما تنبه لهم المسلمون فيقومون بهجوم مضاد عليهم ، فوقوف هؤلاء النفر في وجه الاعداء المهاجمين كان هو عين الحكمة لهذه الوجوه المذكورة وغيرها .

* * *

٢١ - ثبات النبي صلى الله عليه وسلم العظيم -

بعد أن داهم فرسان المشركين المسلمين من خلفهم ، وصاح الشيطان بهم : ألا إن محمدًا قد قتل ، حصل ما حصل على المسلمين من الاضطراب والارتباك ففر منهم من فر وانسحب منهم إلى سفح الجبل من انسحب وثبت من ثبت في ميدان المعركة .

أما رسول الله ﷺ فإنه لم يفر ولم ينسحب ، ولقد ضرب بنفسه أروع الأمثال في الشجاعة ورباطة الجأش والإقدام على المكاره ، فلقد أُفرد في نفر من أصحابه فثبت وقاتل الكفار هو ومن ثبتوا معه ، بل أعظم من ذلك أنه نادى المسلمين المنسحبين إلى أعلى الوادي من خلفهم يقول : إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله .

وقد نزل في ذلك قول الله تعالى ﴿ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [**آل عمران** : ١٥٣]

وأخرج الإمام ابن جرير الطبري من طريق ابن جُريج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى ﴿ **وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ** ﴾ : إليَّ عباد الله إليَّ عباد الله (١) .

وقوله تعالى ﴿ **فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ** ﴾ معناه أن الله تعالى جازاهم بغمٍّ جديد و هو إشراف جيش الكفار عليهم بعد توقف المعركة على غمِّهم السابق بالإصابة وفوات النصر كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق أسباط بن نصر عن السدي

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٣٤ .

الكبير إسماعيل بن أبي كريمة قال : فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ حين ذهب عنهم الحزن - يعني برؤيتهم رسول الله ﷺ حيًا - فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قُتلوا ، فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمَّهم أبو سفيان [1] .

فكَوْن النبي ﷺ يرفع صوته بنداء أصحابه يُعتبر منتهى الشجاعة والبطولة لأنه هو مقصود المشركين الأول وهم يعرفون صوته ، وهو بهذا النداء يغري المشركين بنفسه ، لكنه لم يلتفت إلى ذلك لأن عودة المؤمنين واجتماعهم تحت قيادته أهمُّ من أمر سلامته مع بقائه منفردا عن أصحابه وتفرقهم بغير قيادة ولا نظام .

وقد أقبل المشركون إلى النبي ﷺ وقاتلهم وقاتل دونه عدد قليل من أصحابه حتى قُتل بعضهم بين يديه وأثخن بعضهم بالجراح ، إلى أن فاء المسلمون بعدما عرفوا مكان النبي ﷺ كما سيأتي .

إن مشاركة النبي ﷺ في الجهاد وثباته العظيم في وجه العدو دليل واضح على اهتمامه الكبير بأصحابه وترفُّعه عن النظر إلى الذات ، فلقد كان بوسعه ﷺ أن يبقى في مكان حصين وأن يجعل حوله حرسا يحمونه من هجمات الأعداء ، وسيجد أن جميع الصحابه سيتنافسون على حمايته ووقايته بأرواحهم ، ولكنه واجه حَرَّ المعركة وتعرَّض لاستهداف العدو لأنه يشرِّع لأمته ويرسم للقادة من بعده الطريق الأمثل ، وعلى هذا الطريق سار قادة المسلمين من الصحابة رضي الله عنهم . هذا وقد

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٣٦ .

جاءت روايات تبين جهود النبي ﷺ في الجهاد ، فمن ذلك ما أخرجه الواقدي في سياق رواية له قال : وباشر رسول الله ﷺ القتال ، فرمى بالنَّبل حتى فنيت نَبلُه وتكسّرت سيَة قوسه ، وقبل ذلك انقطع وَتَره ، وبقيت في يده قطعةٌ تكون شبراً في سية القوس ، وأخذ القوس عُكَّاشة ابن محْصَن يُوتره له ، فقال : يارسول الله ، لايبلغ الوَتَر . فقال رسول الله ﷺ : مُدّه ، يبلغْ ! قال عُكَّاشة : فو الذي بعثه بالحقّ ، لمددتُه حتى بلغ وطويتُ منه اثنين أو ثلاثة على سية القوس . ثم أخذ رسول الله ﷺ قوسه ، فما زال يرمي القوم ، وأبو طلحة أمامهم يَستْره مُتَرّسًا عنه ، حتى نظرت إلى قوسه قد تحطّمت ، فأخذها قتادة بن النُّعمان [١] .

فهذا الخبر فيه بيان شيء من الجهد الذي بذله رسول الله ﷺ في قتال الأعداء ، حيث لم يكن عمله قاصرا على إدارة المعركة ، وإنما تجاوز ذلك إلى الإسهام في القتال ، ولقد كان الجهد الذي بذله في الرمي كبيرا حيث بلغت كثافة الرمي إلى الحد الذي أتلف قوسه .

* * *

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٢ .

٢٢ - مواقف من جهاد حمزة بن عبد المطلب واستشهاده -

١ - أخرج الإمام أبو عبد الله البخاري من حديث جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال « خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار ، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلتُ : نعم . وكان وحشيٌ يسكنُ حمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك في ظل قصره كأنه حَميت[١] .

قال فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير ، فسلمنا ، فرد السلام ، قال وعبيد الله مُعتجرٌ بعمامته ما يرى وحشيٌ إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله : ياوحشي أتعرفني ؟ قال فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلمُ أن عدي بن الخيار تزوج امرأةً يقالُ لها أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة فكنتُ أسترضع له ، فحملتُ ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياهُ، فلكأنِّي نظرتُ إلى قدميك .

قال فكشف عُبيد الله عن وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طُعيمة بن عدي بن الخيار ببدر ، فقال لي مولاي جبير بن مُطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حرّ قال : فلما أن خرج الناسُ عام عينين - وعينين جبل بحيال أحد ، بينه وبينه واد - خرجتُ مع الناس إلى القتال ، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : ياسباعُ ،

(١) حَميت بوزن رغيف أي زقّ كبير قاله الحافظ ابن حجر وقال : وفي رواية لابن عائذ «فوجدناه رجلا سمينا محمرة عيناه » : الفتح ٧/ ٣٦٨) .

يا ابن أم أنمار مقُطعة البُظور[1] ، أتحادُّ الله ورسوله ﷺ ؟ قال ثم شدَّ عليه ، فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنتُ لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّته[2] حتى خرجت من بين وركيه ، قال فكان ذلك العهد به .

فلما رجع الناسُ رجعتُ معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلامُ . ثم خرجتُ إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رُسُلا ، فقيل لي : إنه لايهيج الرُّسل ، قال : فخرجتُ معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ ، فلما رآني قال : آنت وحشي ؟ قلت : نعم . قال : أنت قتلتَ حمزة ؟ قلتُ : قد كان من الأمرُ مابَلَغكْ . قال : فهل تستطيع أن تُغيب وَجَهك عني ؟ .

قال فخرجت . فلما قُبض رسولُ الله ﷺ فخرج مُسيلمة الكذابُ قلت لأخرجن إلى مُسيلمة لعلي أقتله فأكافيء به حمزة . قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، قال : فإذا رجلٌ قائم في ثلمة جدار كأنه جملٌ أورقُ ثائر الرأس ، قال فرميتُه بحربتي ، فأضعها بين ثدييه حتى خرجَتْ من بين كتفيه . قال ووثب رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته » .

قال قال عبدُ الله بن الفضل : فأخبرني سليمانُ بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول « فقالت جاريةٌ على ظهر بيت : وا أمير المؤمنين ، قتله العبدُ الأسود »[3] .

---

(١) يعني الختَّانة قال الحافظ ابن حجر : قال ابن إسحاق : وكانت أمه ختانة بمكة تختن النساء أهـ قال : والعرب تطلق هذا اللفظ في مَعْرِض الذم وإلا قالوا : خاتنة - الفتح ٧/ ٣٦٩) .

(٢) أي في عانته .

(٣) صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٤٠٧٢ (الفتح ٧/ ٣٦٨) .

في هذا الخبر مواقف وعبر منها :

أولاً : بيان شجاعة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه العظيمة ، فلقد ذكر وحشي قتله لأحد المبارزين من المشركين بصورة تدل على قوة حمزة وشجاعته الخارقة ومقدرته الحربية الفائقة .

وذكر الحافظ ابن حجر عن رواية الطيالسي لهذا الخبر « فإذا حمزة كأنه جمل أورق ما يرفع له أحد سيفه إلا قمعه بالسيف فَهبتُه » ، قال : وعند ابن عائذ « فرأيت رجلا إذا حمل لايرجع حتى يهزمنا ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : حمزة ، قلت : هذا حاجتي »[1] .

وهذا يعني أنه كان متلثما فلم يعرفه وحشي ، لكن أهل الخبرة الحربية يعرفونه بجلاده لتميزه عن غيره في الحرب .

وجاء في رواية ابن إسحاق : ويهدُّ الناس بسيفه هدًا ، ما يقوم له شيء »[2] .

وهذا يدل على مقدار شجاعة حمزة أسد الله وأسد رسوله ﷺ ، ومبلغ النكاية التي أوقعها بالكفار في تلك المعركة .

ثانيًا : موقف رسول الله ﷺ من وحشي قاتل حمزة حينما أسلم ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ذلك روايات أخرى ، منها رواية الطيالسي وفيها يقول وحشي عن نفسه : « فأردت الهرب إلى الشام فقال لي رجل : ويحك والله ما يأتي محمدًا أحد بشهادة الحق إلا خلَّى عنه ،

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٦٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ١٩ .

قال : فانطلقت فما شعر بي إلا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق . . فقال : ويحك حدثني عن قتل حمزة ، قال : فأنشأت أحدثه كما حدثتكما »[1] .

وقد قبل منه النبي ﷺ إسلامه لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، ولم يصل إليه من رسول الله ﷺ ولا مجرد عتاب ، وهذا منتهى ما يتصوره الإنسان من السماحة والعفو والإحسان .

ولابد لنا هنا من أن نقف وقفة تأمل أمام هذا المشهد العظيم ، فهذا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ يُقتل غدرا من هذا الرجل الحبشي ويمثِّل الكفار بجسده ويَحزن عليه الرسول ﷺ حزنا بالغا ، ومع ذلك ينطلق قاتله ليعيش في مكة حُرّا طليقًا لايخشى من كيد المسلمين ولم يخطر بباله أن رسول الله ﷺ يمكن أن يدبِّر خطة للانتقام منه ، لانه لم يسبق له أن فعل ذلك مع أمثاله ، ولو فعله مع ذلك الرجل لم ينتطح في قتله عنزان ، فهو رجل كان مملوكا فلا قوم له بمكة ولا عشيرة ، ومع ذلك فإن شيئًا من ذلك لم يحدث ، لأن رسول الله ﷺ - وهو الإمام الأول للمسلمين - لم يكن يتصرف بدافع من الانتصار للنفس ، وإنما كان يُقْدم أحيانا على تدبير المكائد للكفار إذا كانوا من الزعماء الذين يكيدون للمسلمين ، فالقضاء عليهم قبل ذلك يوفر على المسلمين معارك قد تُضعف من قوتهم ، أما أن يفكر في قتل رجل لا قوة له ولاعشيرة لمجرد الانتقام منه فإن ذلك لايفيد شيئًا في نصر الإسلام ولايوهن من كيد الكافرين .

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٧٠ .

وكون ذلك الرجل أغاظ النبي ﷺ وأحزنه صحيح ، ولكن الذي يرفع هذا الحزن والغيظ هو احتساب الأجر عند الله تعالى والإيمان بأن أَمَد هذه الحياة قصير وأن هناك لقاء خالدا في الآخرة ، ورسول الله ﷺ هو أعظم من يمثل هذا المبدأ السامي .

أما قول رسول الله ﷺ لوحشي « فهل تستطيع أن تُغيِّب وجهك عني؟ » فهذا لايعني شيئًا من المؤاخذة والتأثيم ، وإنما هو تذكير له بأن رؤيته إياه تجلب له شيئًا من المتاعب النفسية لأن ذلك يذكره بتلك المصيبة العظيمة التي كا ن لها في نفسه أثر بالغ ، فأشار عليه النبي ﷺ بأن يغيب وجهه حتى يفقد مصدر التذكير بتلك المصيبة .

إن الرجال الكُمَّل من صفاتهم أن نفوسهم مرهفة الإحساس ، يتأثرون إذا أخطأ عليهم أحد خطأً كبيرا ، ولكنهم مع ذلك يكتمون مشاعر نفوسهم فلا يتصرفون إلا بما يوافق العقل السليم ، وإذا أخطئوا على غيرهم تأثروا كثيرًا وسارعوا إلى الاعتذار ومحو آثار ذلك الخطأ ، ومع ذلك يبقى في نفوسهم شيئ من أثر ذلك .

وإن من رحمة الله تعالى بالإنسان أنه ينسى سريعًا ، فتمر عليه المصائب فلا تخلِّف في نفسه أثر بالغا لأنه ينساها ويُشغَل بما في حاضره، ولكن حينما يواجه مشهداً من مشاهد تلك المصائب فإنه يتذكر حالاً في الغالب ، فيحصل له شيء من التأثر النفسي إذا كان مرهف الإحساس .

والنبي ﷺ وهو القدوة العظمى لأمته لم يكتم ذلك ويصبر على تحمل الآثار النفسية كلما واجه ذلك الرجل ، لأنه مشرِّع للأمة ، وكلمته هذه التوجيهية تبين أن شعور الإنسان بالألم والحزن عند تذكر المصيبة

لايعني نقصًا في الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره ، ولا ضعفا في الصبر على الأذى ، لأن ذلك أمر جبلّي فطر الله الإنسان عليه ، فلا يملك محوه من نفسه ، وإنما يملك جوارحه أن تقول أو تفعل ما لايليق .

لقد كان الرسول ﷺ إذًا يتحمل الكثير من الآلام النفسية من مواجهة عتاة الكفار الذين كانوا يواجهونه بأنواع من الأذى النفسي والجسمي ثم يرى وجوههم مع كل صباح ومساء ! .

ولقد ظل طويلا يذكر ما واجهه به عتاة ثقيف حينما خرج لدعوتهم لما سألته عائشة رضي الله عنها عن أشد يوم مرّ عليه كما سبق .

٢- أخرج أبو عبد الله الحاكم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : فقد رسول الله ﷺ يوم أُحد حمزة حين فاء الناس من القتال ، قال : فقال رجل : رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول : أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء لأبي سفيان وأصحابه وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء من انهزامهم ، فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحوه فلما رأى جبهته بكى ولما رأى ما مُثِّل به شهق ثم قال : ألاَ كَفَنٌ فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب قال جابر : فقال رسول الله ﷺ : سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي [١] .

هذا الخبر يفيد بأن حمزة رضي الله عنه تأخر استشهاده حتى

---

(١) المستدرك ٣/ ١٩٩ .

حصلت الإصابة على المسلمين ؛ فيكون قد أبلى بلاء عظيما في المرحلة الأولى من المعركة وثبت حينما حصل الارتباك في صفوف المسلمين إلى أن استشهد ، وهذا شاهد على شجاعته الفذة وثباته العظيم رضي الله عنه .

٣ - أخرج الأئمة أحمد وأبو يعلى والبزار من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه أنه لما كان يوم أحد أقبلت أمرأة تسعى حتى كادت أن تشرف على القتلى قال فكره النبي ﷺ أن تراهم ، فقال : المرأة المرأة ، قال الزبير : فتوسمت أنها أمي صفية قال : فخرجت أسعى إليها قال فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قال : فَلَدَمَتْ (١) في صدري وكانت امرأة جَلْدة قالت : إليك عني لا أرض لك فقلت : إن رسول الله ﷺ عزم عليك قال : فوقفتْ و أخرجتْ ثوبين معها فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله فكفنوه فيهما ، قال : فجئنا بالثوبين لنكفِّن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فُعل به كما فُعل بحمزة قال : فوجدنا غضاضةً وحَنَي أن يكفَّن حمزة في ثوبين والأنصاري لاكفن له ، فقلنا : لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له .

ذكره الحافظ الهيثمي وقال : فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق (٢) .

---

(١) أي ضربت ودفعت .

(٢) مجمع الزوائد ٦/ ١١٨ .

في هذا الخبر مواقف :

الأول : ما كان من صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها حينما رضيت وسلّمت لأمر النبي ﷺ لها بالرجوع بينما كانت قبل ذلك تخاطب ولدها الزبير رضي الله عنه بعنف وتضرب في صدره ظنّا منها أنه هو الذي يمنعها من رؤية أخيها حمزة رضي الله عنه ، والوقوف عند أوامر النبي ﷺ دليل على قوة الإيمان .

الثاني : موقف أخلاقي نبيل وذلك حينما واسى آل حمزة أخاه الأنصاري المقتول بجانبه في الكفن فجعلوا لكل واحد منهما ثوبا ، ويبلغ هؤلاء العظماء منتهى النبل في المعاملة حينما لجئوا إلى القرعة في توزيع الثوبين على الشهيدين ولم يفضِّلوا حمزة بأكبرهما .

إن هذا المشهد يكشف لنا صورة من أخلاق الصحابة رضي الله عنهم العالية في المعاملة بينهم من الإيثار والمواساة والبعد عن الأثرة والأنانية .

* * *

٢٣ – من مواقف النساء الجهادية –
(أخبار أم عمارة)

أخرج محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه قالوا : وكانت نُسيبة بنت كعب أمّ عُمارة ، وهي امرأة غَزِيّة بن عمرو ، وشهدت أُحدًا هي وزوجها وابناها ، وخرجت معها شَنّ لها في أوّل النهار تُريد أن تسقي الجرحى ، فقاتلتْ يومئذ وأبْلَتْ بلاءً حسنًا ، فجُرحت اثنى عشر جُرحًا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

فكانت أُمّ سعد بنت سعد بن الربيع تقول : دخلتُ عليها فقلت لها : ياخالة حدثيني خبرك ، فقالت : خرجت أوّل النهار إلى أُحُد ، وأنا أنظرُ ما يصنع الناس ، ومعي سقاءٌ فيه ماءٌ ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدَّولة والريح للمسلمين ، فلمّا انهزم المسلمون انْحَزْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فجعلت أُباشر القتال وأذُبّ عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصتْ إلي الجراحُ .

فرأيت على عاتقها جُرحًا له غَورٌ أجْوَف ، فقلت : يا أُمّ عُمارة ، من أصابك بهذا ؟ قالت : أقبل ابن قَمئة ، وقد ولّى الناس عن رسول الله ﷺ ، يصيح : دُلّوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترض له مُصْعَبُ بن عُمير وأُناس معه ، فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنَّ عدو الله كان عليه درعان .

قلت : يدك ، ما أصابها ؟ قالت : أصيبتْ يوم اليَمامة لمّا جَعَلَت الأعرابُ ينهزمون بالناس ، نادت الأنصارُ : « أخلصونا » ، فأُخلصَت

الأنصارُ ، فكنت معهم ، حتى انتهينا إلى حديقة الموت [1] ، فاقتتلنا عليها ساعة حتى قُتل أبو دُجانة على باب الحديقة ، ودخلتُها وأنا أُريد عدوّ الله مُسيْلمة ، فيعترض لي رجلٌ منهم فضرب يدي فقطعها ، فوالله ما كانت لي ناهيةٌ ولا عرّجتُ عليها حتى وقفتُ على الخبيث مقتولاً ، وابني عبد الله بن زيد المازني يمسح سيفه بثيابه . فقلت : قتلتَه ؟ قال : نعم . فسجدت شكرًا لله . وكان ضمرة بن سعيد يُحدّث عن جدته ، وكانت قد شهدت أُحُدًا تسقي الماء ، قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : لَمقام نُسيبة بنت كَعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ! وكان يراها تُقاتل يومئذ أشد القتال ، إنها لحاجزةُ ثوبها على وسطها ، حتى جُرحت ثلاثة عشر جُرْحًا ، فلما حضرتْها الوفاةُ كنت فيمن غسّلها ، فعددت جراحها جُرْحًا جُرْحًا فوجدتها ثلاثة عشر جُرْحًا . وكانت تقول : إني لأنظر إلى ابن قَمئة وهو يضربها على عاتقها - وكان أعظم جراحها ، لقد داوته سنة - ثم نادى مُنادي النبي ﷺ إلى حَمْراء الأسد ، فشدّتْ عليها ثيابها فما استطاعت من نَزْف الدَّم ، ولقد مكثنا ليلنا نُكمِّد الجراح حتى أصبحنا ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحَمْراء ، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها ، فرجع إليه يُخبره بسلامتها فُسرّ النبيّ ﷺ بذلك .

وأخرج الواقدي ، عن موسى بن ضَمْرَة بن سعيد ، عن أبيه ، قال : أتيَ عمر بن الخطاب بمُروط [2] ، فكان فيها مرْطٌ واسع جيد ، فقال بعضهم : إنَّ هذا المرْط لثَمن كذا وكذا ، فلو أرسلت به إلى زوجة

---

(١) البستان الذي كان مسيلمة قد تحصن به في اليمامة .

(٢) أي بملابس .

عبد الله بن عمر صَفية بنت أبي عُبيد - وذلك حدْثانَ ما دخلت على ابن عمر : فقال : أبعثُ به إلى مَن هو أحقّ منها ، أُمّ عُمارة نُسيبة بنت كعب . سمعت رسول الله ﷺ يوم أُحد يقول : ما التفتُّ يمينًا ولا شمالاً إلا وأنا أراها تُقاتل دوني .

فقال الواقدي : حدثني سعيد بن أبي زيد ، عن مروان بن أبي سعيد ابن المُعَلَّى ، قال : قيل لأم عمارة : هل كنَّ نساءُ قُريش يومئذ يُقاتلن مع أزواجهنَّ ؟ فقالت : أعوذ بالله ، ما رأيت امرأة منهنَّ رمت بسهم ولا بحجر ، ولكن رأيت معهنَّ الدِّفاف والأكبار ، يضربن ويُذكِّرن القوم قتلى بَدْر ، ومعهنَّ مكاحلُ ومَراود ، فكلّما ولّى رجلٌ أو تكعكع[1] ناولته إحداهن مرْوَدًا ومكْحلة ويقلن : إنما أنت امرأة ! ولقد رأيتهنَّ ولَّين مُنهزمات مُشمِّرات - ولَهَا عنهنّ الرجالُ أصحاب الخيل ، ونَجَوْا على متون الخيل - يتبعن الرجال على الأقدام ، فجعلن يسقطن في الطريق . ولقد رأيت هند بنت عُتبة ، وكانت امرأة ثقيلة ولها خَلْقٌ ، قاعدةً خاشيةً من الخيل ما بها مَشْيٌ ، ومعها امرأة أخرى ، حتى كرّ القوم علينا فأصابوا منَّا ما أصابوا ، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قبَل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ﷺ .

قال الواقدي : حدّثني ابن أبي سَبْرَة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله ، قال : سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم يقول : شهدتُ أُحدًا مع رسول الله ﷺ ، فلما تفرّق الناسُ عنه دنوت منه ، وأُمي تَذُبّ عنه ، فقال : يا ابن أُمّ عُمارة ! قلت :

---

(١) أي تكعكع : أحجم وتأخر إلى وراء (النهاية ، ج٤ ، ص ٢٣) عن هامش المغازي .

نعم . قال : ارْمِ ! فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر ، وهو على فَرَس ، فأصبتُ عين الفَرَس فاضطرب الفَرَس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضَّدتُ عليه منها وِقْراً ، والنبي ﷺ ينظر ويتبسم ، فنظر إلى جُرْح بأُمي على عاتقها فقال : أُمَّك ، أُمَّك ! اعصبْ جُرْحَها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ! مقام أُمك خيرٌ من مقام فلان وفلان ، ومَقام ربيبك - يعني زوج أُمّه - خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك لخيرٌ من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهلَ بيت ! قالت : ادع الله أن نُرافقك في الجنَّة . قال : اللَّهمّ اجعلهم رفقائي في الجنة قالت : ما أُبالي ما أصابني من الدنيا [1] .

في هذه الأخبار مواقف منها :

الأول : الإشارة إلى الدور الذي كانت تقوم به النساء في العهد النبوي من الأعمال الجهادية حيث كنَّ يقمن بحمل الماء وسقي المجاهدين والاستعداد بمواد الإسعافات لتضميد الجرحى وغير ذلك من الخدمات التي يقدِّمْنَها للمجاهدين .

ولقد ظلت نساء المسلمين يقمْن بهذه الخدمات الجهادية بعد ذلك في عصر الفتوحات الإسلامية .

الثاني : ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها من التحول عن أداء مَهَامِّها كامرأة إلى أداء مهام الرجال الجهادية ، وذلك حينما وقعت الإصابة على المسلمين وأُفردَ النبي ﷺ في نفر من أصحابه ،

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٦٨ - ٢٧٣ .

وذكر ابن هشام بعض رواية سعيد بن أبي زيد الأنصاري - الروض الأنف ٥/ ٤٤ - .

فرأت أم عمارة أن واجبها آنذاك أكبر من تقديم الخدمات المساعدة فباشرت قتال المشركين دفاعا عن رسول الله ﷺ ، وحصل منها ماذُكر في هذه الأخبار من التصدي للأعداء والمشاركة في رد هجماتهم .

إن هذه الأعمال الجهادية الخشنة لايستغرب صدورها من الرجال لأنهم - خصوصا في ذلك العهد - قد مَرَنوا عليها وألفَتْ عليها أجسامهم ، لكن صدور ذلك من النساء أمر غير مألوف عادة ، فكَوْن أم عمارة تقوم بذلك الجهد الكبير ، وتواصل الدفاع عن النبي ﷺ رغم إصابتها بتلك الجراح التي بلغت ثلاثة عشر يعتبر تضحية كبيرة وطاقة عالية غير معتادة ، ولايشك المتأمل بأن هذه الصحابية الجليلة قد حظيت بعون من الله تعالى جعلها تصمد ذلك الصمود العجيب وتقدِّم ذلك الجهد الكبير .

ومن المدهش في خبر تلك المرأة العظيمة أنها لم تُقَدِّم نفسها في الجهاد فحسب بل قدمَّت ابنيها ليكونا فداء للنبي ﷺ ، ولئن كان الدافع لدى زوجها وابنيها مألوفا في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم فإن صدور ذلك من أمهما وهي تشاهدهما وتتوقع في أي لحظة أن يكونا تحت سنابك الخيل شهيدين . . إن ذلك يعتبر مثالا عاليا لقوة الإيمان ورسوخ اليقين .

فلهذه الأفاعيل الكبيرة والتضحيات العالية من أم عمارة بنفسها وبحثِّ بنيها على الجهاد نجد رسول الله ﷺ يثني عليها ذلك الثناء الطيب ، ولكنها لقوة إحساسها بالحياة الآخرة وشدة استحضارها لما أعده الله تعالى لأهل الجنة من النعيم المقيم لاتكتفي بسماع ذلك الثناء من

رسول الله ﷺ بل تهتَبل هذه الفرصة الغالية لتطلب منه ﷺ أن يدعو الله تعالى لها ولأفراد أسرتها بمرافقته في الجنة وهي تعلم علم اليقين أنه في أعلى عليين .

ونجد أم عمارة مع هذا الجهد الكبير والجراح المتعددة المؤلمة تقوم لتَشُدَّ عليها ثيابها لما سمعت منادي رسول الله ﷺ يدعو المسلمين لملاحقة جيش العدو في حمراء الأسد ، ولكنها لم تستطع المشاركة في هذه المهمة لأن جراحها مازالت تنزف دما ، فأي عزيمة كانت تملكها تلك المرأة ، وأي حيوية كان يشتمل عليها قلبها الكبير ؟ !! .

إن الطاقة لدى الفرد المسلم لاتحدها الحدود المعتادة إذا كان وراء تلك الطاقة إيمان قوي محرك ، وإذا كانت هذه المرأة المؤمنة قد قامت بهذه العجائب وهي لم تكن مؤهلة لذلك بحكم طبيعتها النسوية فكيف بالرجال إذا ملكوا ذلك الإيمان القوي الحيوي ؟ ! .

وتمر الأيام ويقع المسلمون في لحظات حرجة جداً وهم يواجهون أعنف مقاومة واجهوها في حروب الردة ، وتبرز أم عمارة بصحبة ابنها لتبحث عن رأس المشركين المرتدين مسيلمة الكذاب وهي تريد أن تتصدى لقتله وإراحة المسلمين منه ، ولاتبالي وهي تدفع نفسها لهذا الهدف العالي بيدها التي قُطعت وهي تؤدي هذه المهمة ، لأن الله تعالى قد أبقى لها اليد الأخرى التي بإمكانها أن تبذل بها ما تستطيع من طاقة ، ولكن ابنها عبد الله بن زيد المازني يسبقها لأداء هذه المهمة فيشارك في قتل رأس الكفر مسيلمة ، وتَقَرُّ عين أم عمارة بهذه النهاية الحميدة للمسلمين وبما قدمه ابنها للإسلام والمسلمين من عمل جليل .

الموقف الثالث : ما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تقدير أهل الفضل وتَذَكُّر ما قدمته أم عمارة يوم أحد من بلاء وتضحية في سبيل الدفاع عن النبي ﷺ ، فحينما وردت عليه وهو في خلافته ملابس مما أفاءه الله تعالى على المسلمين وكان فيها لباس متميز أرسله إلى أم عمارة وذكر جهادها المشكور ولم يلتفت إلى من أشار عليه ببعثه إلى زوجة ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وهذا موقف يذكر لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، ويضاف إلى مواقفه الكثيرة في العدالة وتقديم أهل الفضل والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين .

* * *

٢٤ - موقف جهادي لوهب المزني وابن أخيه -

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه : و أقبل وهب بن قابوس المزني ، ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس ، بغَنَم لهما من جبل مُزَينة ، فوجدا المدينة خلواً فسألا : أين الناس ؟ فقالوا : بأُحُد ، خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين من قريش . فقالا : لا نبتغي أثرا بعد عين .

فخرجا حتى أتيا النبي ﷺ بأحد فيجدان القوم يقتتلون ، والدولة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، فأغارا مع المسلمين في النهب ؛ وجاءت الخيل من وراءهم ؛ خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، فاختلطوا ، فقاتلا أشد القتال . فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله ﷺ : مَنْ لهذه الفرقة ؟ فقال وهب بن قابوس : أنا يا رسول الله . فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع .

فانفرقت فرقة أخرى فقال رسول الله ﷺ : من لهذه الكتيبة ؟ فقال المزني : أنا يارسول الله . فقام فذبها بالسيف حتى ولَّوْا ، ثم رجع المُزَنيّ . ثم طلعت كتيبةُ أخرى فقال : من يقوم لهؤلاء ؟ فقال المزني : أنا يارسول الله . فقال : قم وأبشرْ بالجنة . فقام المزني مسروراً يقول : والله لا أقيل ولا أستقيل . فقام فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى المسلمين ، حتى خرج من أقصاهم ، ورسول الله ﷺ يقول : اللهم ارحمه ! ثم يرجع فيهم فما زال كذلك ، وهم مُحدقون به ، حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه ، فوُجد به يومئذ عشرون طعنةً برمح ، كلها قد خلصت إلى مقتل ، ومُثِّل به أقبح المثل يومئذ .

ثم قام ابن أخيه فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل ، فكان عمر بن الخطاب يقول : إنَّ أحبَّ ميتة أموتُ عليها لمَا مات عليها المُزنيّ .

وكان بلال بن الحارث المُزني يُحدّث يقول : شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقَّاص . فلما فتح الله علينا وقُسمَتْ بيننا غنائمنا ، فأسقط فتى من آل قابوس من مُزينة (١) . فجئت سعداً حين فرغ من نومه فقال : بلال ؟ قلت : بلال ! قال : مرحبًا بك . من هذا معك ؟ قلت : رجلٌ من قومي من آل قابوس . قال سعد : ما أنت يافتى من المُزني الذي قُتلَ يوم أُحد ؟ قال : ابن أخيه . قال سعد : مرحبًا وأهلاً وأنْعَمَ الله بك عَيْنًا ، ذلك الرجل شهدتُ منه يوم أحُد مشهداً ما شهدتُه من أحَد ، لقد رأيُتنا وقد أحدق المشركون بنا من كلّ ناحية ، ورسول الله ﷺ وسطنا والكتائب تطلع من كل ناحية ، وإنَّ رسول الله ﷺ ليرمي ببصره في الناس يتوسّمهم (٢) يقول : من لهذه الكتيبة ؟ كلّ ذلك يقول المُزنيّ : أنا يارسول الله ! كلُّ ذلك يردّها ، فما أنسى آخر مرّة قامها فقال رسول الله ﷺ : قمْ وأبشر بالجنَّة ! قال سعد : وقمت على أثره ، يعلم الله أني أطلبُ مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة ، فخُضْنا حَوْمتهم حتى رجعنا فيهم الثانية ، وأصابوه رحمه الله . ووددتُ والله أني كنت أُصبت يومئذ معه ، ولكن أجَلي استأخر . ثم دعا سعد من ساعته بسهمه فأعطاه وفضَّله وقال : اختر في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك ، فقال بلال : إنه يستحب الرجوع ، فرجعنا .

وقال سعد : أشهدُ لرأيتُ رسول الله ﷺ واقفًا عليه وهو مقتول ،

---

(١) أي أسقط اسمه من قسمة الغنائم .

(٢) أي يتفرس فيهم .

وهو يقول : رضي الله عنك فإني عنك راض . ثم رأيت رسول الله ﷺ قام على قدميه - وقد نال النبيَّ ﷺ من الجراح ماناله ، وإني لأعلم أن القيام ليشقُّ عليه - على قبره حتى وُضع في لحده ، وعليه بُرْدَة لها أعلامٌ خُضْر ، فمدّ رسول الله ﷺ البُرْدَة على رأسه فَخَمَّره ، وأدرجه فيها طولاً وبلغت نصف ساقَيه ، وأمرَنا فجمعْنا الحَرْمَل فجعلناه على رجلَيه وهو في لحده ، ثم انصرف . فما حالٌ أموتُ عليها أحبُّ إليّ من أن ألقى الله تعالى على حال المُزَنيّ(١) .

في هذا الخبر مواقف منها :

أولاً : بيان الجهد الكبير الذي بذله في الجهاد وهب بن قابوس المزني وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس رضي الله عنهما حيث تركا ما قدما من أجله من بيع غنمهما في المدينة وخرجا إلى موقع المعركة في أحد ، ولم يكن لهما دافع إلى الخروج إلا نصرة الإسلام والمسلمين ، ولقد بذل كل واحد منهما جهداً كبيراً في صد الأعداء والنكاية بهم حتى سقطا شهيدين .

وإننا لنجد في هذا الخبر مثلا لقوة تمثُّل الحياة الآخرة في أذهان الصحابة ، فحينما بشَّر النبي ﷺ وهبًا المزني بالجنة قام مسروراً وهو يقول : لا أُقيل ولا أستقيل فقد اشترى الجنة بنفسه وطلب موطن الشهادة بعد ما أثخن في العدو ، ونجد أن الصحابة يتمنون أن يموتوا تلك الميتة التي رافقها ضمان دخول الجنة .

وهذا الشعور القوي نحو الحياة الآخرة هو الذي أنتج العجائب في

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٧٥ - ٢٧٧ .

حياة الصحابة رضي الله عنهم ، حيث أصبحوا قوة عظمى على قلة العَدد وضعف العُدد ، واشتهر في أوساط الأمم أن المسلمين لايمكن أن يقف لهم أحد مهما كانت قوة استعداده وكثرة جنوده .

ثانيًا : موقف جليل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في تذكر خبر وهب المزني بالرغم من مرور ثلاث عشرة سنة تقريبا على غزوة أحد لمجرد مرور اسم رجل من عشيرته عليه ، وهذا يعني اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بأخبار أهل الفضل والمواقف الحميدة في الإسلام ، وكذلك ينبغي أن يُشادَ بأهل المكارم والمحامد لتحصل الأسوة الحسنة بهم .

* * *

٢٥ - موقف جهادي للحارث بن الصمة وأبي دجانة -

قال الواقدي فما يرويه عن شيوخه : وأقبل عثمان بن عبد الله بن المُغيرة المَخزومي يُحضر فرسًا له[١] أبلق ، يُريد رسول الله ﷺ ، وعليه لأمَة له كاملة [٢] ، ورسول الله ﷺ مُوَجِّهٌ إلى الشِّعب ، وهو يصيح : لانجوتُ إن نجوتَ ! فيقف رسول الله ﷺ ويعثر به[٣] فرسه في بعض تلك الحفر التي كانت حَفَر أبو عامر ، فيقع الفَرس لوجهه ، وخرج الفرس عائرًا فيأخذه أصحاب رسول الله ﷺ فيعقرونه[٤] .

ويمشي إليه الحارث بن الصِّمَّة فتضاربا ساعةً بسيفين ، ثم يضرب الحارث رجله - وكانت الدِّرعُ مُشمِّرة - فَبَرك وذَفَّف عليه . وأخذ الحارث يومئذ درعًا جيدة ومغفرا وسيفًا جيداً ، ولم يُسمع بأحد سُلب يومئذ غيره . ورسول الله ﷺ ينظر إلى قتالهما وسأل رسول الله ﷺ عن الرجل ، فإذا عُثمان بن عبد الله بن المُغيرة ، فقال : الحمد لله الذي أحانه[٥] .

وكان عبد الله بن جَحش أسره ببطن نَخْلَة حتى قدم به على رسول الله ﷺ ، فافتدى فرجع إلى قُريش حتى غزا أُحُدًا فقُتل به .

ويرى مَصرعه عُبيد بن حاجز العامريّ - عامر بن لُؤَيّ - فأقبل يعدو

---

(١) أي يعدو بها ، والحَضْر ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) اللأمة هي الدرع ومايتبعه من المغفر والبيضة ونحو ذلك .

(٣) أي بعثمان المخزومي .

(٤) أي يقطعون قوائمه حتى لاينجو عليه صاحبه، والعائر الذي أفلت وانطلق على وجهه .

(٥) أحانه : أهلكه (الصحاح ، ص ٢١٠٦) ، عن هامش المغازي .

كأنه سَبُع ، فيضرب الحارث بن الصِّمَّة ضربةً جَرَحه على عاتقه ، فوقع الحارث جريحًا حتى احتمله أصحابه . ويُقبل أبو دُجانة على عُبيد فتناوشا ساعة من نهار ، وكلٌّ واحد منهما يتَّقي بالدَّرَقَة ضربَ السيف ، ثم حمل عليه أبو دُجانة فاحتضنه ، ثم جَلَد به الأرض ، ثم ذبحه بالسيف كما تُذبح الشاة ، ثم انصرف فلحق برسول الله ﷺ [1] .

في هذا الخبر موقفان بطوليان للحارث بن الصمة وأبي دجانة رضي الله عنهما ، فأما الحارث فإنه تصدَّى لعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي مع كونه قد حصَّن نفسه بالحديد الواقي من السلاح ، وبذلك وقى رسول الله ﷺ من ذلك الذي أقبل يريد قتله .

وأما أبو دجانة فإنه قام بإنقاذ الحارث الذي أسرع إليه عبيد بن حاجز مغتنما فرصة انشغاله مع ابن المغيرة حيث أصابه بجرح فكان أبو دجانة له ، ولم يحتمل طول الصراع والمصاولة حيث هجم على ابن حاجز فاحتضنه وضرب به الأرض ثم ذبحه كما تذبح الشاة ، وهذا العمل يدل على شجاعة فائقة من أبي دجانة ، كما أنه يعتبر إهانة لمن وقع عليه مثل هذا النوع من القتل .

* * *

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٢ - ٢٥٣ .

٢٦ - موقف جهادي لطلحة وعدد من الصحابة -

أخرج الإمام البيهقي بإسناده عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد وبقي معه أحَدَ عشر رجلاً من الأنصار فيهم طلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال : ألا أحَدٌ لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يارسول الله ، فقال : كما أنت ياطلحة فقال رجل من الأنصار : فأنا يارسول الله فقاتل عنه ، وصَعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قُتلَ الأنصاريُّ ، فلحقوه ، فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : أنا يارسول الله فأذن له ، فقاتل مثل قتاله وقتال صاحبه ، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه .

فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ، ويقول طلحة : أنا يارسول الله فيحبسُه ، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال ، فيأذن له ، فقاتل مثل قتال من كان قبله ، حتى لم يَبْق معه إلا طلحة فغشوهما ، فقال رسول الله ﷺ : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا : فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبَتْ أنامله فقال حَسِّ(١) . فقال رسول الله ﷺ : لو قلت بسم الله ، أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء ، ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون (٢) .

---

(١) حَسِّ بكسر السين المشددة تعبير عن الألم الشديد .

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧ .

وأخرجه الإمام النسائي من حديث جابر رضي الله عنه وذكر مثله - سنن النسائي ٦/ ٢٩-٣٠ ، كتاب الجهاد ، باب ما يقول من يطعنه العدو . =

في هذا الخبر بيان لموقف جهادي عظيم لطلحة بن عبيد الله وعشرة من الأنصار لم تذكر أسماؤهم .

هذا الجهاد تم في أخطر مرحلة من مراحل المعركة ، وذلك حينما أصيب المسلمون بالذهول لهول المفاجأة بهجوم خيول العدو من خلفهم وإشاعة أن رسول الله ﷺ قد قُتل ، فقرر النبي ﷺ الانسحاب عن مركز القيادة بمن بقي معه للاعتصام بجبل أحد ، فتولى طلحة ورفاقه حماية النبي ﷺ حتى تمت عملية الانسحاب بسلامة النبي ﷺ بعد أن قدَّم الأنصار العشرة أرواحهم فداء له .

وإن ما قام به هؤلاء الأنصار يعتبر تضحية خالدة وعملاً عظيمًا نالوا به الشرفين : شرف حماية النبي ﷺ والإسلام وشرف الظفر بالشهادة فرضي الله عنهم أجمعين .

أما طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فإنه كان يتقدم في كل مرة فيبقيه النبي ﷺ ، لا حمايةً له وإنما ادخاراً له لموقف أكثر صعوبة وأبلغ خطراً ، وقد مثَّل هذا الموقف أبلغ تمثيل حيث قاتل المشركين وحده كقتال العشرة من الأنصار ، حتى عرف أبو بكر وأبو عبيدة ومن اجتمع من الصحابة رضي الله عنهم موقع النبي ﷺ فقاموا جميعا بإكمال تلك المهمة .

وهذا موقف عظيم في التضحية والشجاعة يذكر لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، مما حدا بأبي بكر رضي الله عنه إلى أن يقول « ذلك يوم كله لطلحة » .

= وذكره الحافظ الذهبي وقال : رواته ثقات - سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧ - .

وقال الحافظ ابن حجر : إسناده جيد - فتح الباري ٧/ ٣٦٠ - .

وقـول جـابر رضي الله عنه في هذه الرواية « انهـزم الناس » قـال الحافظ ابن حجـر في بيان ذلك في حديث آخـر : أي بعضـهم أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم [1] ، وقد تقدم بيان أقسام الناس بعد الإصابة .

وأخرج الواقدي من حديث شيوخه قالوا : وقاتل طلحةُ بن عُبيد الله يومئذ عن النبي ﷺ قتـالاً شـديداً ، فكان طلحة يقول : لقد رأيت رسول الله ﷺ حين انهزم أصحابه ، وكرّ المشركون وأحدقوا بالنبي ﷺ من كلّ ناحية ، فما أدري أقومُ من بين يديه أو من ورائه ، أو عن يمينه أو عن شمـاله ، فـأذُبُّ بالسيف من بين يديه مـرّة وأخـرى من ورائه حتى انكشفوا . فجعل رسول الله ﷺ يومئذ يقول لطلحة : قد أنْحَبَ [2] .

وقال سعد بن أبي وقاص وذكر طلحة فقال : يرحمه الله ، إنه كان أعظمنا غناءً عن رسـول الله ﷺ يوم أحُد ! قـيل : كيف يا أبا إسـحاق ؟ قال : لزم النبي ﷺ وكنا نتفرّق عنه ثم نثوب إليه ، لقد رأيته يدور حول النبي ﷺ يُترّس بنفسه .

وسُئل طَلحة : يا أبا محمدّ ، ما أصاب إصبعك ؟ قال : رمى مالك ابن زُهير الجُشَميّ بسهم يُريد رسول الله ﷺ ، وكـان لاتُخطئ رميته ، فاتَّقيت بيدي عن وجه رسول الله ﷺ فأصاب خنصَري ، فَشُكَّ فَشُلَّ إصبعه . وقال حين رماه . حَسِّ ! فقال رسول الله ﷺ : لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون ! من أحبّ أن ينظر إلى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله ، طلحة ممّن قضى نحْبَه .

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٦٢ .

(٢) أي قضى ما عليه ، والنَّحب هو النذر المحكوم بوجوبه - مفردات الراغب ٤٨٤ - .

وقال طلحة : لمّا جال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا ، أقبل رجلٌ من بني عامر بن لُؤيّ بن مالك بن المُضَرَّب يجرّ رمحًا له ، على فَرَس كُمَيت أغرّ ، مُدجَّجًا في الحديد ، يصيح : أنا أبو ذات الوَدَع[1] ، دُلّوني على محمّد ! فأضربُ عرقوبَ فرسه فانكسعتْ ، ثم أتناول رمحه فو الله ما أخطأت به عن حَدَقَته ، فخار كما يخور الثور ، فما برحتُ به واضعًا رجلي على خَدّه حتى أزرتُه شَعُوبَ[2] . وكان طَلحة قد أصابته في رأسه المُصلَّبة ، ضربه رجلٌ من المشركين ضربتين ، ضربة وهو مُقبل والأخرى وهو مُعرض عنه[3] ، وكان قد نَزَف منها الدم . قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه : جئت إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوم أُحُد فقال : عليك بابن عمّك ! فأتى طَلحة بن عُبيد الله وقد نَزَف الدم ، فجعلت أنضح في وجهه الماء وهو مَغشيٌّ عليه ، ثم أفاق فقال : ما فعل رسول الله ؟ فقلت : خيرًا ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله ، كلّ مُصيبة بعده جَلَلٌ[4] .

وكان ضرار بن الخَطّاب الفهْريّ يقول : نظرت إلى طَلحة بن عُبيد الله قد حلق رأسه عند المَرْوَة في عُمْرَة ، فنظرت إلى المُصلَّبة في رأسه . فقال ضرار : أنا والله ضربته هذه ، استقبلني فضربته ثم أكرُّ عليه وقد أعرض فأضربُه أخرى .

---

(١) الودع خرز بيض تستخرج من البحر .

(٢) أي الموت .

(٣) يعني صارت الضربتان على هيئة صليب .

(٤) أي صغيرة ، وهذا من أسماء الأضداد يطلق على الكبير والصغير ويعرف المراد به من السياق .

وقالوا : لمّا كان يوم الجمل وقَتَل عَلّي عليه السلام من قتل من الناس ودخل البَصْرة ، جاءَه رجلٌ من العرب فتكلّم بين يديه ، ونال من طَلحة فزبَره علّي وقال : إنَّك لم تشهد يوم أُحُد وعظَم غَنائه في الإسلام مع مكانه من رسول الله ﷺ . فانكسر الرجل وسكت .

فقال رجلٌ من القوم : وما كان غَناؤه وبلاؤه يوم أُحُد يرحمه الله ؟ فقال عَلّي : نعم ، يرحمه الله ! فلقد رأيته وإنه ليُترّس بنفسه دون رسول الله ﷺ ، وإنَّ السيوف لتغشاه والنَّبل من كلّ ناحية ، وإنْ هو إلا جُنَّة بنفسه لرسول الله ﷺ . فقال قائل : إنْ كان يومًا قد قُتل فيه أصحاب رسول الله ﷺ ، وأصاب رسول الله فيه الجراحة . فقال عَلّي عليه السلام : أشهدُ لسمعت رسول الله ﷺ يقول : ليت أني غودرت مع أصحاب نحْص الجبل [1] . قال ابن أبي الزِّناد : نُحْص الجبل أسفله .

ثم قال عَلّي عليه السلام : لقد رأيتني يومئذ وإني لأذُبُّهم في ناحية ، وإنَّ أبا دُجانة لفي ناحية يَذُبّ طائفة منهم ، وإنَّ سعد بن أبي وقاص يذب طائفة منهم ، حتى فرج الله ذلك كله . ولقد رأيتني وانفردَتْ منهم يومئذ فرقةٌ خشناءُ فيها عكْرمة بن أبي جهل ، فدخلتُ وسْطها بالسيف فضربت به واشتملوا عليّ حتى أفضَيت إلى آخرهم ، ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعتُ من حيث جئت ، ولكن الأجل استأخر ويقضي الله أمرًا كان مفعولاً [2] .

---

(١) قول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا اخرجه الحافظ البزار بإسناد حسن - المطالب العالية٤/ ٢٢٢ - .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٤ - ٢٥٦ .

هذه الأخبار تبين لنا الجهد الكبير الذي بذله طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بشهادة هؤلاء الصحابة الكرام من الدفاع عن رسول الله ﷺ ووقايته من سلاح الأعداء ، ولقد استمر يجمع بين حماية النبي ﷺ والدفاع عنه حتى فاء عدد من الصحابة رضي الله عنهم وكان طلحة قد أُغمي عليه من كثرة ما واجه من سلاح الأعداء .

ولقد استحق بهذا ثناء النبي ﷺ والحكم له بأنه قد أدَّى ما عليه كاملاً .

كما اشتملت هذه الأخبار على موقف جليل لعلي بن أبي طالب الذي اثنى على طلحة رضي الله عنهما ودافع عنه بالرغم مما جرى بينهما من خلاف ، ولقد ذكره بأبرز موقف تفوَّق فيه على غيره من الصحابة .

وهذا دليل على مبلغ الرقي الأخلاقي الذي وصل إليه الصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا يُشيدون بإخوانهم ويذكرون محاسنهم وإن وقع الخلاف بينهم إلى حد المواجهة في الميدان .

كما أن في هذا الخبر وصفا لشجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث كان وحده يقاتل كتيبة من كتائب المشركين فلم يستطيعوا إصابته .

* * *

٢٧ - ضرار بن الخطاب يصف شجاعة الأنصار -

قال الواقدي في سياق رواية له : وكان ضرار بن الخطاب يُحدّث ويذكر وقعة أُحُد [١] ، ويذكر الأنصار ويترحّم عليهم ، ويذكر غناءَهم في الإسلام ، وشجاعتهم وإقدامهم على الموت ، ثم يقول : لمّا قُتل أشراف قومي ببدر جعلتُ أقول : مَن قتل أبا الحكَم ؟ يقال : ابن عَفْراءَ. من قتل أُميّة بن خَلَف ؟ يقال : خُبَيب بن يَساف . من قتل عُقبة بن أبي مُعيط ؟ قالوا : عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح . مَن قتل فلانًا ؟ فيُسمَّى لي . مَن أسر سُهَيل بن عمرو ؟ قالوا : مالك بن الدُّخْشُم .

فلما خرجنا إلى أُحُد وأنا أقول : إن أقاموا في صَياصيهم [٢] فهي مَنيعة ، لاسبيل لنا إليهم ، نُقيم أيّامًا ثم ننصرف ، وإن خرجوا إلينا من صَياصيهم أصبنا منهم - معنا عددٌ كثيرٌ أكثر من عددهم ، ونحن قوم موتورون[٣] ، خرجنا بالظُّعُن [٤] يذكّرْننا قتلى بَدْر ، معنا كُراعٌ ولاكُراع معهم [٥] ومعنا سلاح أكثرُ من سلاحهم .

فقُضي لهم أن خرجوا ، فالتقينا ، فو الله ما أقمنا لهم حتى هُزمنا وانكشفنا مُولِّين ، فقلت في نفسي : هذه أشدّ من وقعة بَدْر ! وجعلتُ أقول لخالد بن الوليد : كُرّ على القوم ! فجعل يقول : وترى وجها نكر فيه ؟

(١) يعني بعدما أسلم .

(٢) أي في حصونهم .

(٣) أي سبقت لنا الإصابة على يد المسلمين فنحن نأخذ بالثأر ومن كا ن كذلك يكون أقوى في القتال .

(٤) أي النساء .

(٥) المراد بالكراع هنا الخيل .

حتى نظرت إلى الجبل الذي كان عليه الرماة خاليا ، فقلت : يا أبا سليمان ، انظر وراءك ! فعطف عنان فرسه . فكر وكررنا معه ، فانتهينا إلى الجبل فلم نجد عليه أحدا له بال ، وجدنا نُفَيْرًا فأصبناهم ، ثم دخلنا العسكر ، والقوم غارّون ينتهبون العسكر ، فأقحمنا الخيل عليهم فتطايروا في كل وجه ، ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا .

وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج فلا أرى أحدا ، قد هربوا ، فما كان حَلْبُ ناقة حتى تداعت الأنصار بينها ، فأقبلت فخالطونا ونحن فرسان ، فصبروا لنا ، وبذلوا أنفسهم حتى عقروا فرسي وترجلت ، فقتلت منهم عشرة . ولقيت من رجل منهم الموت الناقع حتى وجدت ريح الدم . وهو معانقي ، ما يفارقني حتى أخذَتْه الرماح من كل ناحية ووقع ، فالحمد لله الذي أكرمهم بيدي ولم يُهنِّي بأيديهم[1] .

هذا الخبر فيه وصف لحال المسلمين مع أعدائهم من بداية المعركة حتى حصلت الإصابة على المسلمين .

وفيه ثناء واضح على الأنصار رضي الله عنهم بالشجاعة والثبات من رجل كان مع الكافرين وأثخن في المسلمين بعد إصابتهم ثم هداه الله تعالى للإسلام فسجل في هذا الخبر موقف المسلمين الثابت وخاصة الأنصار منهم الذين كانوا مقصد الكفار بعد رسول الله ﷺ لكون الأنصار هم أكثر من قتل المشركين يوم بدر .

وكون المسلمين يثبتون وهم مشاة لأعدائهم وهم فرسان مع تفوق

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣ .

المشركين كثيرا في العدد يبين لنا شجاعة المسلمين العالية وإقدامهم على بذل أرواحهم في سبيل الله تعالى .

ونجد في نهاية الخبر شعور المسلم الموقن حيث يحمد ضرار بن الخطاب ربه تعالى على أن أبقاه حيا حتى دخل في الإسلام ، وحيث عبر عن قتل الشهداء بأنه إكرام من الله تعالى لهم وعن قتل الكفار بأنه إهانة منه تعالى لهم .

* * *

٢٨ - مثل من شجاعة النبي ﷺ ومعجزة ظاهرة - (مقتل أُبَيّ بن خلف)

قال محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى :

فحدثني يونس بن محمد الظفري ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : كان أُبَيّ بن خلف قدم في فداء ابنه ، وكان أسر يوم بدر ، فقال : يا محمد إن عندي فرسا لي أعلفها فَرَقا[١] من ذرة كل يوم ، أقتلك عليها . فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله . ويقال قال ذلك بمكة فبلغ رسول الله ﷺ كلمته بالمدينة فقال : أنا أقتله عليها إن شاء الله .

قالوا : وكان رسول الله ﷺ في القتال لا يلتفت وراءه ، فكان يقول لأصحابه : إني أخشى أن يأتي أَبَيّ بن خلف من خلفي ، فإذا رأيتموه فآذنوني به . فإذا بأَبَيّ يركض على فرسه ، وقد رأى رسول الله ﷺ فعرفه ، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسول الله ، ما كنت صانعا حين يغشاك ! فقد جاءك ، وإن شئت عطف عليه بعضنا . فأبى رسول الله ﷺ .

ودنا أَبَيّ فتناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة . ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير ، فتطايرنا عنه تطاير الشعارير[٢] ، ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذا جَدَّ الجدّ . ثم أخذ الحربة فطعنه

---

(١) الفرق مكيال بقدر ستة عشر رطلا .

(٢) في رواية ابن إسحاق « الشَّعراء » قال ابن هشام : الشَّعراء ذباب له لدغ .

رسول الله ﷺ بالحربة في عنقه وهو على فرسه [1]. فجعل يخور كما يخور الثور .

ويقول له أصحابه : أبا عامر ، والله ما بك بأس . ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضرَّه . قال واللات والعزى ، لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون ! أليس قال : « لأقتلنك » ؟ فاحتملوه وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ ولحق رسول الله ﷺ بعُظْم أصحابه في الشِّعب . ويقال تناول الحربة من الزبير بن العوام [2] .

وأخرجه ابن إسحاق بأخصر من هذا ، وذكر شعراً لحسان بن ثابت يوبخ فيه أُبَيَّ بن خلف ويشيد بموقف النبي ﷺ في قتله إياه ، ومن ذلك قوله :

ألا مـــــن مبلـغ عني أبيًّا	لقد أُلقيتَ في سحق السعير
تمنَّى بالضـــلالة مـــن بعيد	وتُقسم إن قدرت مع النذور
تَمـنِّيك الأمـاني مـــن بعيد	وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ [3]	كريم البيت ليس بذي فجور
له فضل على الأحياء طُـرّاً	إذا نابت ملمَّـات الأمـــور [4]

---

(١) جاء في رواية الزهري عند البيهقي « وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ من خلف من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته ، فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم » .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) أي أَنَفَة وترفع عن الدنايا .

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٥ - ٣٨ .

وذكر هذا الخبر الإمام البيهقي من روايته عن الإمام الزهري من حديث سعيد بن المسيب وعن أبي الأسود من رواية عروة بن الزبير رضي الله عنه [1].

في هذا الخبر مثل من شجاعة النبي ﷺ الفائقة فقد أقبل عليه أُبَيُّ بن خلف وهو فارس ومدجج بالسلاح ، وصار يتوعده بالقتل فتصدى له النبي ﷺ ولم يقبل من أصحابه أن يكفوه أمره ، ولقد كان متدرعا بالحديد الواقي من السلاح ولكن النبي ﷺ استطاع أن يطعنه بالرمح من فرجة صغيرة في عنقه بين الدرع والبيضة ، ومثل هذه الفجوات عادة لا تتم إصابتها إلا عن قرب وفي حال غفلة ممن وجهت إليه ، ولذلك لا يهتم بها المقاتلون .

وفي هذا الخبر معجزة للنبي ﷺ حيث قال لأُبَيّ قبل ذلك بزمن حينما توعده « بل أنا أقتلك إن شاء الله » فتم ذلك بمشيئة الله تعالى .

وفي الخبر عبرة في إيمان المشركين بأن النبي ﷺ إذا قال شيئا وقع فقد كان أُبَيّ بن خلف على يقين بأنه سيموت من تلك الطعنة الخفيفة لقول النبي ﷺ السابق ، ومع ذلك لم ينفعهم ذلك في الإيمان به والدخول في الإسلام لأنهم كانوا يعبدون أهواءهم .

* * *

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٠٦ - ٢١٠ و ٢٥٨ - ٢٥٩ .

٢٩ - من مواقف سعد بن أبي وقاص الجهادية -

١ - أخرج أبو عبد الله الحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أحد تنحيت فقلت : أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ﷺ .

فبينا أنا كذلك إذا رجل مخمِّر وجهه ما أدري من هو ، فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فَنُكبوا على أعقابهم القهقرى حتى يأتوا الجبل ، ففعل ذلك مرارا ولا أدري من هو ، وبيني وبينه المقداد بن الأسود ، فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد : يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك ، فقلت : وأين هو ؟ فأشار لي المقداد إليه ، فقمت ولكأنه لم يصبني شئ من الأذى ، فقال رسول الله ﷺ : أين كنت اليوم يا سعد ؟ فقلت : حيث رأيت يا رسول الله ، فأجلسني أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله ﷺ يقول اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد لسعد رميته ، إيهاً يا سعد[١] ، حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله ﷺ ما في كنانته فَنَبَّلني سهما نَضيًّا ، قال : وهو الذي قد ريْشَ وكان أشد من غيره .

قال الزهري : إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي [٢] .

(١) يعني زدْ ياسعد وهي كلمة يعبَّر بها عن الرضى .

(٢) المستدرك ٣/ ٢٦ .

في هذا الخبر معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ حيث كان يأخذ الحصى فيرمي به المشركين فيتحول إلى أسلحة فتاكة لا تُبقي أحداً منهم ثابتا في مكانه .

وفي هذا الخبر موقفان لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

الأول : في حبه العظيم لرسول الله ﷺ حيث زال عنه كل ما يجد من الغم والحزن لما رأى النبي ﷺ سالما ، وتجددت له طاقة عالية وحماس قوي نحو الجهاد .

الثاني : في إسهامه الكبير في رماية الأعداء ، وسلاح الرماية أمضى في العدو من سلاح المواجهة خصوصا إذا كان الرمي من رام ماهر كسعد رضي الله عنه .

وإنه لجهد كبير أن يرمي فرد واحد بألف سهم في بعض يوم .

ولقد حاز سعد على شرف دعاء النبي ﷺ له بتسديد رميته وإجابة دعوته ، فكان بعد ذلك مشهورا بدقة الإصابة في الرمي وإجابة الدعاء ، كما حاز على شرف فداء النبي ﷺ إياه بأبيه وأمه ، وقد أخرج الإمام البخاري خبر ذلك عن سعد رضي الله عنه قال : « نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد فقال : ارم فداك أبي وأمي »[1] .

٢ - قال الواقدي في سياق روايته عن شيوخه :

وجعل رسول الله ﷺ يومئذ يُذمِّر الناس ويحضهم على القتال ، وكان رجال من المشركين قد أذلقوا المسلمين بالرمي ، منهم حبَّان بن العَرقة ، وأبو أسامة الجشمي ، فجعل النبي ﷺ يقول لسعد بن أبي

(١) صحيح البخاري المغازي ، رقم ٤٠٥٥ (٧/٣٥٨) .

وقاص : ارم ، فداك أبي وأمي ! ورمى حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل أم أيمن - وجاءت يومئذ تسقي الجرحى - فقلبها وانكشف ذيلها عنها ، فاستغرب في الضحك ؛ فشق ذلك على رسول الله ﷺ ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهما لا نصل له فقال : ارم ! فوقع السهم في ثغرة نحر حبان فوقع مستلقيًا وبدت عورته .

قال سعد : فرأيت رسول الله ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه . ثم قال : استقاد لها سعد ؛ أجاب الله دعوتك وسدد رميتك ! ورمى يومئذ مالك بن زهير الجشمي أخوأبي أسامة الجشمي ، وكان هو وحبان بن العرقة قد أسرعا في أصحاب رسول الله ﷺ وأكثرا فيهم القتل بالنبل ، يتستران بالصخر ويرميان المسلمين . فبينا هم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقاص مالك بن زهير وراء صخرة ، قد رمى وأطلع رأسه ، فيرميه سعد فأصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه ، فنزا في السماء قامة ثم رجع فسقط ، فقتله الله عز وجل [(١)].

وهذا الخبر يدل على دقة سعد في الرماية وجودته في إصابة الهدف ، وقد أراح المسلمين من اثنين من رماة الكفار كانا قد أضرا بالمسلمين ، فكم هي الجهود الكبيرة التي بذلها سعد لرسول الله ﷺ والمؤمنين في تلك المعركة !!

ولقد كان لسعد شرف القيام بإهباط المشركين من الجبل بالرماية الهادفة المسددة كما ذكر الأموي في مغازيه : أن المشركين صعدوا على الجبل فقال رسول الله ﷺ لسعد : « ارددهم » فقال : كيف أردهم

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٤١ .

وحدي ؟ فقال ذلك ثلاثا ، فأخذ سعد سهما من كنانته فرمى به رجلا فقتله ، قال : ثم أخذت سهمي أعرفه فرميت به آخر فقتلته ، ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتلته ، فهبطوا من مكانهم (١) .

وقوله « ثم أخذت سهمي أعرفه » يفسره ما جاء في رواية أخرجها الواقدي بإسناده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لقد رأيتني أرمي بالسهم يومئذ فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد فظننت أنه مَلَك (٢) .

٣ - قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغَضا في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسوله (٣) .

في هذا الخبر موقف إيماني لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ببراءته من أهل الشرك وإن كانوا من أقرب الناس إليه ، فقد حرص على قتل أخيه عتبة لإصابته رسول الله ﷺ ، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يلغون عامل القرابة إذا تعارض مع الدين ، وهذا دليل على قوة إيمانهم .

* * *

---

(١) ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٤/ ٢١١ .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٨ .

٣٠ - موقف جهادي لأبي طلحة -

أخرج الإمامان البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أنس بن مالك، قال : لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّب عليه بحجفة [١] قال : وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع [٢]. وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا ، قال : فكان الرجل يمر معه الجعبة [٣] من النبل فيقول : انثرها لأبي طلحة .

قال : ويشرف نبي الله ﷺ ينظر إلى القوم . فيقول أبو طلحة يا نبي الله ! بأبي أنت وأمي لا تشرف لا يصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما [٤] تنقلان القرب على متونهما [٥] ثم تفرغانه في أفواههم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثا من النعاس [٦].

وأخرج الإمام أحمد بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا

---

(١) (مجوّب عليه بحجفة) أي مترس عنه ليقيه سلاح الكفار . وأصل التجويب الاتقاء بالجوب، كثوب ، وهو الترس .

(٢) (شديد النزع) أي شديد الرمى بالسهام .

(٣) (الجعبة) هي الكنانة التي تجعل فيها السهام .

(٤) (خدم سوقهما) الواحدة خَدَمَة ، وهي الخلخال . والسوق جمع ساق .

(٥) (على متونهما) أي على ظهورهما . وهذه التعليقات عن هامش صحيح مسلم .

(٦) صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٤٠٦٤ (الفتح ٧/ ٣٦١) صحيح مسلم ، الجهاد ، رقم١٨١١(ص ١٤٤٣) .

طلحة رضي الله عنه كان يرمي بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحُد ، والنبي ﷺ خلفه يتترس به [1] ، وكان راميا ، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك ، وكان أبو طلحة يسوق نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويقول إني جَلْد [2] يا رسول الله ألا فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت .

وأخرج عنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة قال : وكان يجثو بين يديه في الحرب ثم ينثر كنانته [3] ويقول وجهي لوجهك الوقاء ونفسي لنفسك الفداء [4] .

تبين لنا من هذه الأخبار شيء من مواقف أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري النَّجَّاري الخزرجي ، وقد تبين من مظاهر خبرته الحربية مهارته في الرمي ، وجهوده الكبيرة في الدفاع عن النبي ﷺ والإثخان في الكفار بسلاح الرماية ، كما أنه كان جهير الصوت ويرعب الأعداء بصوته مما جعل النبي ﷺ يعتبره بصوته المرعب عن فئة من الجيش .

هذا إضافة إلى ما قام به من وقاية النبي ﷺ بنفسه حيث جعل من جسده تُرسًا له دون سلاح الأعداء .

* * *

(١) أي يحتمي به .

(٢) بفتح الجيم وسكون اللام أي قوي صلب .

(٣) أي جعبة السهام .

(٤) الفتح الرباني ٢٢ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

٣١ – موقف جهادي لعمارة بن زياد وعدد من الأنصار –

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه : وقالوا : إن رسول الله ﷺ لَمَّا لَحَمه القتال وخُلص إليه وذبّ عنه مُصْعب بن عُمير وأبو دُجانة حتى كَثُرت به الجراحة ، جعل رسول الله ﷺ يقول : من رجلٌ يَشري نفسَه ؟ فوثب فئة من الأنصار خمسةٌ ، منهم عُمارة بن زياد بن السَّكن ، فقاتل حتى أُثبتَ ، وفاءَتْ فئةٌ من المسلمين فقاتلوا حتى أجهضوا أعداء الله ، فقال رسول الله ﷺ لعُمارة بن زياد : ادنُ منّي ! إليّ ، إليّ ! حتى وسَّده رسول الله ﷺ قدمَه – وبه أربعةَ عشَرَ جرحًا – حتى مات [(١)] .

في هذا الخبر موقف لعمارة بن زياد بن السكن الأنصاري الأشهلي وعدد من الأنصار رضي الله عنهم في حماية النبي ﷺ والدفاع عنه في موقف من أشد المواقف حاز فيه عمارة شرف الشهادة بعد أن أبلى بلاء حسنا هو وأصحابه رضي الله عنهم .

* * *

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٤١ .

وقد ذكره ابن الأثير من رواية ابن إسحاق ، ولكن فيه تردد في صاحب القصة هل هو عمارة بن زياد أو أبوه زياد – أسد الغابة ٤/ ٤٩ – .

٣٢ - موقف لسهل بن حنيف -

أخرج أبو عبد الله الحاكم من طريق الواقدي بإسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : وشهد سهل بن حنيف بدراً وأحداً ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس وبايعه على الموت ، وجعل ينضح يومئذ بالنبل عن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : نَبِّلوا سهلاً فإنه سهل [١] .

في هذا الخبر موقف جهادي لسهل بن حنيف رضي الله عنه ، حيث كان من الذين ثبتوا مع النبي ﷺ وبايعوه على الموت في حال إصابة المسلمين وتفرقهم ، وقد كان من الرماة المشهورين ، فبذل طاقة كبيرة في الرماية حماية لرسول الله ﷺ ودفاعا عنه .

* * *

---

(١) المستدرك ٣/ ٤٠٩ .

٣٣ - موقف لشَمَّـاس بن عثمان المخزومي [١] -

قال الواقدي في سياق رواية له وقال رسول الله ﷺ : ما وجدتُ لشَمَّاس بن عُثمان شَبَهًا إلا الجُنَّة [٢] - يعني مما يُقاتل عن رسول الله ﷺ يومئذ . وكان رسول الله ﷺ لايرمي[٣] يمينًا ولا شمالاً إلا ر أى شَماسًا في ذلك الوجه يَذُبّ بسيفه ، حتى غُشي رسول الله ﷺ فترّس بنفسه دونه حتى قُتل ، فذلك قول النبي ﷺ : ما وجدت لشَمَّاس شَبَهًا إلا الجُنَّة [٤] .

وهكذا حوَّل شماس بن عثمان المخزومي جسمه إلى ترس يقي به رسول الله ﷺ من سلاح الأعداء إلى جانب الدفاع عنه بسيفه ، حتى إذا غُشي على رسول الله ﷺ ترّس بنفسه دونه حتى استشهد رضي الله عنه .

وفي هذا الخبر وأمثاله نستشف مثلا من أمثلة العظمة حيث تذوب الأجسام في مراد العقول السليمة يتمثل بالطموح العالي نحو بلوغ رضوان الله تعالى والجنة ، فيتعرض أولو الألباب لمواطن الشهادة التي فيها رجاء الوصول السريع لتحقيق ذلك الهدف العالي .

* * *

---

(١) هو شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي القرشي ، من المهاجرين الأولين .

(٢) الجُنَّة بضم الميم الوقاية ، شبهه بالمجنّ الذي يُتَّقى به من السلاح .

(٣) أي لايرمى ببصره .

(٤) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٧ .

وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته - ٢/ ١٥٢ رقم ٣٩١٩- من رواية الزبير بن بكار .

٣٤ - مواقف جهادية لأبي دجانة -

١ - قال الواقدي في سياق رواية له : وكان كعب بن مالك يقول : أصابني الجراح يوم أُحُد ، فلمّا رأيت مَثْل المشركين بقتلى المسلمين أشدّ المثل وأقبحه ، قمت فتجاوزت عن القتلى حتى تنحيت .

قال كعب : وإذا رجلٌ من المشركين جامع اللأمَة[١] يصيح : استوسقوا كما يستوسق جُرْبُ الغَنَم . وإذا رجلٌ من المسلمين عليه لأمَته، فمشيتُ حتى كنت من ورائه ثم قمت أُقدّر المسلمَ والكافر ببَصَري، فإذا الكافر أكثرهما عُدَّةً وأُهْبَةً ، فلم أزل أنظرهما حتى التقيا، فضرب المسلم الكافرَ على حبل عاتقه بالسيف ، فمضى السيف حتى بلغ وركيه ، وتفرق المشرك فرقتين . وكشف المسلم عن وجهه فقال: كيف ترى ياكعب ؟ أنا أبو دُجانة [٢] .

هذا الخبر يبين شجاعة أبي دجانة رضي الله عنه وقوة بدنه فإنه استطاع التغلب على ذلك الكافر الذي هو أكمل منه في السلاح المادي، ولقد ظهرت قوة أبي دجانة في تلك الضربة القاصمة التي قطع بها الدرع وقسم جسد ذلك الكافر إلى قسمين .

٢ - قال الواقدي في سياق رواية له : ويُقبل عبد الله بن حُميد بن زُهير حين رأى رسول الله ﷺ على تلك الحال ، يَركُض فرسه مُقنَّعًا في الحديد يقول : أنا ابن زُهَير ، دلّوني على محمّد ، فو الله لأقتلنَّه أو لأموتنَّ دونه ! فتعرض له أبو دجانة فقال : هَلُمّ إلى من يَقي نفسَ محمّد بنفسه ! فضرب فرسه فعرقبها فاكتسعت الفرس ، ثم علاه بالسيف وهو

---

(١) أي مكتمل العدة الحربية .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٦٠ .

يقول : خذها وأنا ابن خَرَشَة ! ورسول الله ﷺ ينظر إليه يقول : اللَّهم ارض عن ابن خَرَشَة كما أنا عنه راض [1] .

في هذا الخبر موقف جليل لأبي دجانة رضي الله عنه في حماية النبي ﷺ والدفاع عنه ، فقد تصدى لابن زهير الذي جعل هدفه الأول قتل النبي ﷺ وقام بعدة محاولات أصابه في بعضها بجراح ، فوقف له البطل العظيم أبو دجانة مظهرًا له أن الوصول إلى رسول الله ﷺ دونه خَرْط القتاد ، حيث إن كل من حوله يفدونه بأرواحهم .

وإذا كان ابن زهير يفادي بنفسه في محاولة قتل النبي ﷺ ليَعظُم ذكره في قومه وينال المجد الدنيوي فإن مَنْ حول النبي ﷺ وعلى رأسهم أبو دجانة يفدونه بأرواحهم لاطمعا في ذكر دنيوي وإنما برجاء بلوغ رضوان الله تعالى والأجر الأخروي ، ولن تكون تضحية من يريد الذكر الدنيوي كتضحية من يريد الذكر الأخروي لأن من أراد الدنيا فإنه إنما يُضحِّي ببعض طاقته ويستبقي طاقة أعظم للدفاع عن نفسه حتى يستمتع بالذكر الدنيوي ، أما رُوَّاد الذكر الأخروي فإنهم يبذلون كل طاقتهم في خدمة أهدافهم النبيلة لأنهم يعتقدون أن حصولهم على الشهادة هو أقرب وأسمى طريق لبلوغ الذكر الأخروي ، فلذلك استطاع أبو دجانة أن يتغلب بسهولة وهو راجل على ابن زهير وهو فارس ، وأن يلقِّن أصحابه من الكفار درسًا لن ينسوه ما بقوا على قيد الحياة .

هذا وقد سبق ذكر بعض مواقف أبي دجانة الجهادية بمناسبة إعطاء النبي ﷺ سيفه له .

* * *

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٦ .

٣٥ - موقف في الثبات والتضحية من سعد بن الربيع -

أخرج أبو عبد الله الحاكم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ، قال : إن رأيته فأقْرِئْه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ : كيف تجدك ؟ قال : فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم ، فقلت له : ياسعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول : : أخبرني كيف تجدك ؟ قال : عَلَى رسول الله السلام ، قل له : يارسول الله أجدني أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لاعذر لكم أن يُخْلَص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شَفْرٌ يَطْرِف [١] .

قال : وفاضت نفسه رحمه الله .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي [٢] .

وأخرجه الحافظ أبو يعلى من حديث عمرو بن يحيى المازني وذكر نحوه [٣] .

وأخرجه محمد بن إسحاق وذكر نحوه [٤] .

في هذا الخبر موقف جليل في الثبات والتضحية يقدِّمه علم من

---

(١) أي عين تبصر .

(١) المستدرك ٣/ ٢٠١ .

(٣) المطالب العالية ٤/ ٢٢٠ رقم ٤٣١٧ .

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٥٠ .

أعلام الأنصار وأحد نقبائهم في بيعة العقبة ، سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي ، فقد ثبت رضي الله عنه في ميدان المعركة وكان ممن واجهوا هجوم الأعداء الأخير حتى استشهد رضي الله عنه .

وإن ما في هذا الخبر من إصابته بسبعين إصابة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم يدل على قوة احتماله وأنه كان يقارع القوم وهو مثخن بالجراح حتى سقط على الأرض .

ولقد ظل اهتمامه بالنبي ﷺ حتى فاضت روحه مذكِّرا قومه بوجوب فداء النبي ﷺ بأرواحهم وأنهم لاعذر لهم إن وَصل إليه الأعداء وفيهم رجل على قيد الحياة .

* * *

٣٦ - موقف ثبات لثابت بن الدحداحة وجماعة من الأنصار -

أخرج الواقدي من حديث الحارث بن الفُضَيل الخَطْمي ، قال : أقبل ثابت بن الدَّحداحة يومئذ والمسلمون أوزاعٌ ، قد سُقطَ في أيديهم ، فجعل يصيح : يامعشر الأنصار ، إليّ ! إليّ ! أنا ثابت بن الدَّحداحة ، إن كان محمدٌ قد قُتل فإنَّ الله حيٌّ لايموت ! فقاتلوا عن دينكم ، فإنَّ الله مُظهركم وناصرُكم ! فنهض إليه نَفَرٌ من الأنصار ، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين ، وقد وقفت لهم كَتيبةٌ خشناء ، فيها رؤساؤهم : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب . فجعلوا ينُاوشونهم . وحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح ، فطعنه فأنفذه فوقع ميتًا ، وقُتل من كان معه من الأنصار .

فيقال إنّ هؤلاء لآخرُ من قُتل من المسلمين ، ووصل رسول الله ﷺ إلى الشِّعْب مع أصحابه فلم يكن هناك قتال (١) .

هذا الخبر يبين لنا مشهداً من مشاهد ثبات الأنصار رضي الله عنهم يوم أحد ، فقد دعاهم ثابت بن الدحداحة (٢) إلى الثبات وقتال الأعداء ، وكان في حال من اليقين والبصيرة حينما لم يثنه عن القتال ما أُشيع من مقتل رسول الله ﷺ حيث أبان لقومه أن الجهاد ماض لإعلاء كلمة الله تعالى ، وقد استجاب له جماعة من قومه فقاتلوا الكفار بقوة وضراوة حتى سقطوا جميعًا شهداء رضي الله عنهم .

* * *

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٨١ .

(٢) هو ثابت بن الدحداحة البلوي الأنصاري حليف بني عمرو بن عوف من الأنصار .

٣٧ - مواقف لثلاثة من الأنصار في الثبات -

قال الواقدي في سياق رواية له : وكان عَبّاس بن عُبادة بن نَضْلة [١]، وخارجة بن زيد بن أبي زُهير [٢]، وأوْس بن أرْقَم بن زيد [٣] ، وعباس رافعٌ صوته يقول : يامعشر المسلمين اللهَ اللهَ في نبيِّكم ! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيّكم، وعدكم النصر فما صبرتم ! ثم نزع مغْفَره عن رأسه وخلع درعه فقال لخارجة بن زيد : هل لك في درعي ومغْفَري؟ قال خارجة : لا ، أنا أُريد الذي تُريد . فخالطوا القوم جميعًا، وعَبّاس يقول : ما عُذْرُنا عند ربنا إن أُصيب رسولُ الله ومنَّا عَينٌ تَطرف؟ يقول خارجة : لاعُذْرَ لنا عند ربّنا ولا حُجَّة .

فأمَا عباس فقتله سُفيان بن عبد شمس السُّلَمّي ، ولقد ضربه عَبّاس ضربتين فجرحه جرحين عظيمين ، فارْتُثَّ يومئذ جريحًا فمكث جريحًا سنةً ثم استبلّ . وأخذت خارجةَ بن زيد الرِّماحُ فجُرح بضْعة عشر جرحًا، فمرّ به صَفوان ابن أُمية فعرفه فقال : هذا من أكابر أصحاب محمّد وبه رَمَقٌ ! فأجهز عليه . وقُتل أوْس بن أرْقَم [٤] .

فهؤلاء الأنصار الثلاثة الخزرجيون ثبتوا في حال إصابة المسلمين حتى استشهدوا رضي الله عنهم .

ولقد نادى عباس بن نضلة قومه وحثهم على الثبات وذكَّرهم بوعد

---

(١) هو العباس بن عبادة بن نضلة الخزرجي الأنصاري من أصحاب العقبة - الإصابة٢/ ٢٦٢ رقم ٤٥٠٦ .

(٢) هو خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي الأنصاري الإصابة ١/ ٣٩٩ رقم ٢١٣٥ .

(٣) هو أوس بن الأرقم بن زيد الخزرجي الأنصاري - الإصابة ١/ ٩١ رقم ٣١٢ - .

(٤) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٨ .

رسول الله لهم بالنصر إذا صبروا ، ولكن أكثر الرماة لم يصبروا وخالفوا أمره فأصيب المسلمون بسبب مخالفتهم ، وحثَّهم على بذل الطاقة في حماية النبي ﷺ والدفاع عنه .

ولقد قام بعمل فدائي مرعب للأعداء عادة وهو نزع الدرع والمغفر مما يُشعر بطلب الشهادة ، وقد عرض درعه ومغفره على خارجة بن زيد فلم يقبلهما لأنه أيضًا يريد الشهادة .

وهكذا ضرب هؤلاء الأنصار مثلا عاليا في الثبات والتضحية حيث جعلوا من أنفسهم - هم وأمثالهم - حواجز بشرية قوية حالت دون تكاثف الأعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنهم بثباتهم وإشغالهم الأعداء بالجلاد القوي المتواصل لم يمكِّنوا الأعداء من ملاحقة المسلمين الذين انحازوا إلى جبل أحد .

* * *

٣٨ - مواقف جهادية لعمر بن الخطاب وبعض المهاجرين -

قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله ﷺ بالشِّعب ، معه أولئك النَّفر من أصحابه ، إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه لاينبغي لهم أن يَعْلونا ، فقاتل عمرُ بن الخطاب ورهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهْبطوهم من الجبل (١) .

هذا الخبر حكاية عن بعض ما جرى على المسلمين بعد توقف المعركة ، وقد كان سبب توقفها اعتصام المسلمين بجبل أحد ، حيث لايستطيع المشركون الوصول إليهم بخيولهم ، ولايتمكنون من قتالهم وهم مشاة لتفوق المسلمين في الكفاءة القتالية ، ولكون المسلمين أعلى منهم في المكان ، ففكر بعض المشركين في صعود جبل أحد من الخلف ليكونوا أعلى من المسلمين فيتمكنوا منهم ، فدعا رسول الله ﷺ ربه أن لايمكنهم من الإشراف عليهم ، فانتدب لقتالهم عمر بن الخطاب في رهط من المهاجرين رضي الله عنهم فقاتلوهم حتى أهبطوهم من الجبل .

وإذا تصورنا أن المشركين كانوا أعلى من المسلمين فإن قتالهم في غاية الصعوبة ، ومع ذلك أقدم عليه عمر ومن ساعده من المهاجرين ، وهذا دليل على علو كفاءة المسلمين القتالية ، واجتهادهم في بذل طاقتهم في الجهاد .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٩ .

٣٩ - موقف ثبات وتضحية لأنس بن النضر -

أخرج الإمامان البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال النبي ﷺ ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرَينَّ ما أجدُّ ، فلقي يوم أحد فهُزم الناس ، فقال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقيَ سعد بن معاذ فقال : أين ياسعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد ، فمضى فقُتل ، فما عُرف حتى عرفته أخته بشامة - أو ببنانه - وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم [١] .

في هذا الخبر بيان موقف في الثبات والتضحية لأنس بن النضر الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه حيث ثبت في ميدان المعركة وتلقى هجوم الأعداء العنيف بعد كرَّتهم .

ولقد ظل يقاوم مع إصابته ببضع وثمانين مابين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم حتى سقط على الأرض ، وهذا يدل على قوة احتماله وصبره الشديد .

وفي قوله « إني أجد ريح الجنة دون أحد » قال الحافظ ابن حجر : يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها ريح الجنة ، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوسا عنده ، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يئول بصاحبه إلى الجنة [٢] .

---

(١) صحيح البخاري ، المغازي ، رقم ٤٠٤٨ (٧/ ٣٥٤) صحيح مسلم ، الإمارة رقم ١٩٠٣(ص١٥١٢) وانظر سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣ - ٣٤ .

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٥٥ .

٤٠ - حوار أبي سفيان ومواقف للمسلمين -

أخرج الإمام البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لاتُجيبوه . فقال أفي القوم ابنُ أبي قُحافة ؟ قال : لاتُجيبوه . فقال : أفي القوم ابنُ الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمرُ نفسه فقال : كذَبت ياعدو الله ، أبقى اللهُ عليك مايُخزيك . قال أبو سفيان : اعلُ هُبَل . فقال النبي ﷺ : أجيبوه . قالوا : مانقول؟ قال قولوا : اللهُ أعلى وأجلّ . قال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولاعُزى لكم . فقال النبي ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولامولى لكم ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، وتجدون مُثلة لم آمر بها ولم تَسُؤْني [١] .

وقوله « فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت ياعدو الله » جاء في رواية ابن عباس رضي الله عنهما « فقال عمر : ألا أجيبه ؟ قال : بلى» ذكره الحافظ ابن حجر وقال : وكأنه نهى عن إجابته في الأولى وأذن له في الثالثة .

وقوله « في الثالثة » يعني أن أبا سفيان كرر قوله ثلاث مرات ، كما ذكر الحافظ ابن حجر عند قوله « فقال : أفي القوم محمد؟» : زاد زهير ثلاث مرات في المواضع الثلاثة [٢] .

---

(١) صحيح البخاري ، المغازي رقم ٤٠٤٣ (٧/ ٣٤٩) .

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٥٢ .

وهذا يعني أن عمر سكت في المرتين الأوليين ، ثم استأذن النبي ﷺ في إجابته بعد الثالثة فأذن له ، وهذا هو المظنون بعمر رضي الله عنه أنه لايتجاوز أمر النبي ﷺ .

ولقد كان النبي ﷺ حينما أمر الصحابة بعدم إجابة أبي سفيان يراعي الإبقاء على المسلمين وعدم تعريضهم لاستئناف المعركة بعد توقفها وهم مثخنون بالجراح ، فإذا سكت المسلمون فإن أبا سفيان وقومه يفهمون من ذلك عدم وجود النبي ﷺ وصاحبيه ، وأبو سفيان قد اعتبر أن ذهاب هؤلاء الثلاثة يعني ذهاب الإسلام وانتهاء دولته ، وفي هذا مزية كبرى لعظيمَي الإسلام بعد رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

لكن عمر لاحظ إظهار عزة المسلمين وإغاظة الكافرين وإن ترتب على ذلك استئناف المعركة ، وقد وافقه النبي ﷺ على إجابة المشركين بعد النداء الثالث لأبي سفيان ، وفي ذلك جمع بين المقصدين مقصد الإبقاء على المسلمين حيث إن المشركين سيخالجهم الشك في بقاء النبي ﷺ على قيد الحياة لسكوت المسلمين في النداء الأول والثاني وسيقوم عندهم احتمال أن عمر أجاب في الثالثة لهدف سياسي ، خصوصا وقد سمعوا النداء بموت النبي ﷺ وأخبرهم بذلك ابن قمئة ، والرسول ﷺ هو هدفهم الأول ، والمقصد الثاني إظهار عزة المسلمين وإغاظة الكافرين ، وقد تحقق ذلك بتأكد المشركين من سلامة عمر واحتمال سلامة النبي ﷺ وأبي بكر بشكل ظاهر لإخبار عمر بذلك .

ونجد في هذا الحوار الفرق الشاسع بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم

الجاهلية ، فأبو سفيان يعتزُّ بكبير أصنامهم هُبَل ، والمسلمون يعتزون بالله عزَّ وجلّ ، والمشركون يعلنون ولاءهم لصنم آخر كبير من أصنامهم وهو العزَّى ، ويطلبون منه قضاء حوائجهم والمسلمون يتولَّون الله تعالى ويطلبون منه وحده قضاء حوائجهم .

* * *

٤١ – مواقف لرسول الله ﷺ في عودتهم إلى المدينة –

١ – قال ابن إسحاق : ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قُل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

ثم بعث رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، فقال : اخرُجْ في آثار القوم فانظُر ماذا يَصْنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنَّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فإنهم يُريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم قال عليّ : فخرجت في آثارهم أنظُر ماذا يصنعون ، فجنَّبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجَّهوا إلى مكة [١] .

في هذا الخبر موقف من مواقف الشجاعة لرسول الله ﷺ حيث هدد بقتال المشركين في المدينة مع ما به وأصحابه من الجراح الشديدة .

٢ – قال الواقدي في سياق رواية له : وكان أبو سعيد الخُدْري يُحدث أنَّ رسول الله ﷺ أُصيب وجهُه يوم أُحُد فدخلت الحَلْقَتان مع المغْفَر في وجنتَيه ، فلما نُزعتا جعل الدَّمُ يسرُب كما يسرُب الشَّنّ [٢] ، فجعل مالك بن سنان يَملُج الدم بفيه ثم ازْدَرَده ، فقال رسول الله ﷺ : مَن أحبّ أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان . فقيل لمالك : تشرب الدم ؟ فقال : نعم ، أشرب دم رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : من مَسّ دمه دمي ، لم تُصبه النارُ . قال أبو

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٩ .

(٢) أي القربة القديمة .

سَعيد : فكنَّا ممّن رُدّ من الشيخَين[1] لم نُجَز مع المُقاتلة ، فلمّا كان من النهار وبلغَنا مُصابُ رسول الله ﷺ وتفرُّقُ الناس عنه ، جئت مع غلمان من بني خُدْرَة نعترض لرسول الله ﷺ وننظر إلى سلامته فنرجع بذلك إلى أهلنا ، فلقينا الناس مُنصرفين ببطن قَناة ، فلم يكن لنا همَّة إلا النبي ﷺ ننظر إليه ، فلمّا نظر إليّ قال : سعد بن مالك ؟ قلت : نعم ، بأبي وأمي ! فدنوت منه فقبّلت رُكبته وهو على فرسه ، ثم قال : آجرك الله في أبيك ! ثم نظرت إلى وجهه فإذا في وجنتَيه موضع الدرهم في كلِّ وَجنة ، وإذا شَجّةٌ في جبهته عند أصول الشَّعَر ، وإذا شفته السفلى تَدْمَى ، وإذا رَباعيته اليمنى شَظية ، فإذا عَلَى جرحه شيءٌ أسود . فسألت : ماهذا على وجهه ؟ فقالوا : حَصيرٌ مُحرَّقٌ . وسألت : من دمَّى وَجنتَيْه ؟ فقيل : ابن قمئة . فقلت : من شجّه في جبهته؟ فقيل : ابن شهاب . فقلت : من أصاب شفته ؟ فقيل : عُتبة .

فجعلت أعدو بين يديه حتى نزل ببابه ، فما نزل إلا حَمْلاً ، وأرى رُكبتَيه مجحوشتين ، يتّكئ على السعدين - سعد بن عُبادة وسعد بن مُعاذ- حتى دخل بيته . فلما غَرَبت الشمس وأذَّن بلال بالصلاة خرج رسول الله ﷺ على مثل تلك الحال يتوكَّأ على السعدَين ، ثم انصرف إلى بيته ، والناس في المسجد يُوقدون النيران يُكمّدون بها الجراح .

ثم أذَّن بلالٌ بالعشاء حين غاب الشَّفَق ، فلم يخرج رسول الله ﷺ وجلس بلالٌ عند بابه حتى ذهب ثُلُثُ الليل ثم ناداه : الصلاة ، يارسول الله ! فخرج رسول الله ﷺ وقد كان نائمًا . قال : فرمقتُه فإذا هو أخفّ

---

(١) هو المكان الذي عرض فيه النبي صلى الله عليه وسلم جيشه وردَّ فيه الغلمان الذين لم يبلغوا كما سبق .

في مشيته منه حين دخل بيته ، فصلَّيتُ معه العشاءَ ثم رجع إلى بيته ، وقد صفّ له الرجال ما بين بيته إلى مُصَلاّه ، يمشي وَحْدَه حتى دخل ، ورجعتُ إلى أهلي فخبّرتهم بسلامة رسول الله ﷺ ، فحمدوا الله على ذلك وناموا ، وكانت وجوه الخَزْرج والأوس في المسجد على باب النبي ﷺ يحرسونه فَرَقًا من قُرَيش أن تكرّ(١) .

في هذا الخبر بيان ماكان عليه غلمان الصحابة من حب عظيم لرسول الله ﷺ ، وارتفاع في مستوى التفكير والاهتمامات ، حيث يشعرون بشعور الكبار فيسرهم ما يسرهم ويسوؤهم ما يسوؤهم ، وهذا دليل على نجاح النبي ﷺ في تربية الصحابة ونجاحهم في تربية أبنائهم .

وفي هذا الخبر بيان موقف السعدين سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج في خدمة رسول الله ﷺ وحراسته هما ومن معهما من الأنصار رضي الله عنهم .

* * *

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٧ - ٢٤٩ .

٤٢ - مواقف لبعض النساء -

١ - أخرج الإمام البخاري من حديث ثعلبة بن أبي مالك قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مُروطًا [١] بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقي مرطٌ جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعْط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال عمر: أمُّ سَليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ [٢]، قال عمر: فإنها كانت تُزفرُ لنا القرَب [٣] يوم أحد [٤].

ففي هذا الخبر بيان موقف جهادي لأم سليط المازنية رضي الله عنها، وذلك في حمل الماء وسقي المجاهدين، كما أن فيه موقفا عاليًا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث ذكر فضل هذه المرأة وأشاد بعملها الجهادي وفضلها على زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بالرغم من علو نسبها رضي الله عنهم أجمعين.

٢- قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الواحد بن أبي عَون عن إسماعيل بن محمد عن سعد بن أبي وقاص قال مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا ياأمّ

---

(١) جمع مرط وهو كساء من الصوف أو الحرير.

(٢) هي بنت عبيد بن زياد من بني مازن، كنِّيَتْ بابنها سليط بن عمرو بن قيس النجاري، وقد توفي عنها عمرو فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أبا سعيد الخدري رضي الله عنهم جميعًا - فتح الباري ٦/ ٧٩، ٧/ ٣٦٧ -.

(٣) أي تحمل قرب الماء.

(٤) صحيح البخاري، رقم ٢٨٨١، ٤٠٧١ (٦/ ٧٩، ٧/ ٣٦٦).

فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظر إليه قال : فأُشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل ، تريد صغيرة[1] .

وأخرجه الواقدي وذكره نحوه[2] .

٣- وقال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه : وخرجَتْ أمُّ سعد بن مُعاذ - وهي كَبْشَة بنت عُبَيد بن مُعاوية بن بلْحارث بن الخَزْرَج - تعدو نحو رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ واقفٌ على فَرَسه ، وسعد بن مُعاذ آخذٌ بعنان فرسه ، فقال سعد : يارسول الله ، أُمِّي ! فقال رسول الله ﷺ مرحبًا بها ! فدنت حتى تأمّلت رسول الله ﷺ فقالت : أمّا إذا رأيتُك سالمًا ، فقد أشْوَت[3] المُصيبة . فعزَّاها رسول الله ﷺ بعمرو بن مُعاذ ابنها، ثم قال : يا أُم سعد ، أبشري وبَشِّري أهليهم أنّ قتلاهم قد ترافقوا في الجنَّة جميعًا - وهم اثنا عشر رجلاً - وقد شُفّعوا في أهليهم . قالت : رضينا يارسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟ ثم قالت : ادعُ يارسول الله لمن خُلِّفوا . فقال رسول الله ﷺ : اللَّهم أذْهب حُزنَ قلوبهم واجْبُر مُصيبتهم ، وأحْسن الخَلَف على من خُلّفوا .

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٥٧ .

وقال ابن هشام : الجَلَل يكون من القليل ويكون من الكثير ، وهو هنا من القليل ، قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

لَقَتْلُ بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر وهو الحارث بن وعلة الجرمي :

ولئن عفوت لأعفُوَنْ جللا ولئن سطوت لأوهنْ عظمي

فهو من الكثير .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٩٢ .

(٣) أي صارت صغيرة خفيفة .

ثم قال رسول الله ﷺ : خَلِّ أبا عمرو الدابّة . فخلّى الفَرَس وتبعه الناس ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا عمرو ، إنَّ الجراح في أهل دارك فاشيةٌ ، وليس فيهم مجروحٌ إلا يأتي يوم القيامة جُرْحُه كأغْزَر ما كان ، اللَّون لونُ دم والريح ريحُ مِسْك ، فمن كان مجروحًا فليَقرَّ في داره وليُداو جُرْحَه ، ولايبلُغْ معي بيتي عَزْمةً منِّي . فنادى فيهم سعدٌ : عَزْمَة رسول الله ﷺ ألاَّ يتبع رسول الله ﷺ جريحٌ من بني عبد الأشْهَل ، فتخلَّف كلّ مجروح ، فباتوا يُوقدون النيران ويُداوون الجراح ، وإنَّ فيهم لثلاثين جريحًا [(١)] .

٤ - وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لمَّا كان يوم أُحد حاصَ أهلُ المدينة حَيْصة ، وقالوا : قُتل محمد، حتى كثر الصراخ في ناحية المدينة ، فخَرجَت امرأة من الأنصار محرمة ، فاستُقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا أدري أيّهم استقبلت به أولاً ، فلما مرَّت على آحدهم قالت : من هذا ؟ قالوا : أبوك ، زوجك ، أخوك ، ابنك ، فتقول : مافعل رسول الله ؟ يقولون : أمامك ، حتى دُفعت إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت بناحية ثوبه ، ثم قالت : بأبي أنت وأُمِّي يارسول الله، لاأُبالي إذا سَلمتَ منْ عَطب! . ذكره الهيثمي وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات [(٢)] .

هذه الأخبار تدل على قوة الإيمان ورسوخ اليقين عند نساء الصحابة رضي الله عنهم جميعا ، فالمرأة الدينارية قد نُعي لها زوجها وأبوها وأخوها فلم تتأثر بذلك ، وسألَتْ عن سلامة رسول الله ﷺ ، فلم يَشْفَ

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) مجمع الزوائد ٦/ ١١٥ ، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٤/ ٢٢٨ .

الخبر عن سلامته وجدَها عليه ولم يطفئ حرقة خوفها عليه حتى شاهدته بعينيها فاطمأن قلبها واستصغرت كل مصيبة تصاب بها أو يصاب بها غيرها ما دام رسول الله ﷺ سالما ، وهذا دليل على كمال محبة رسول الله ﷺ التي هي من كمال الإيمان ، كما أن عدم تأثر تلك المرأة بموت أبيها وزوجها وابنها دليل على كمال اتصافها بالصبر الجميل والرضا بقضاء الله تعالى وقدره .

وكذلك ما كان من أم سعد بن معاذ التي أعلنت فرحتها برؤية النبي ﷺ واستصغرت كل ما أصاب قومها في جانب سلامته .

ولقد كانت قوية الإيمان راسخة اليقين حينما قالت : ومن يبكي عليهم بعد هذا ! وذلك حينما بشرها رسول الله ﷺ بأن شهداء قومها قد ترافقوا في الجنة ، وهذا دليل على قوة استشعار الصحابة رضي الله عنهم للحياة الآخرة ، واهتمامهم بتنظيم سلوكهم بناء على ذلك .

وبمثل هذا الشعور القوي نحو محبة رسول الله ﷺ تتحدث المرأة الأنصارية التي أمسكت بطرف ثوب النبي ﷺ وقالت : بأبي أنت وأمي يارسول الله ﷺ لا أبالي إذا سلمتَ من عطب ، وكانت قد أُخبرت بموت أفراد من أسرتها كما جاء في رواية الطبراني الأخيرة ، وقد تعددت الأخبار بذلك ، وماذُكر لا يمثِّل إلا القليل مما تجيش به مشاعر الصحابة رجالا ونساء نحو النبي ﷺ .

* * *

٤٣ - مثل رفيع من خلق الوفاء -

أخرج الإمام البخاري بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن النبي ﷺ طلع له أُحُد فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه »[١] .

هذا التعبير البليغ من رسول الله ﷺ يدلنا على اتصافه بمنتهى الكمال في مكارم الأخلاق ، التي يأتي على رأسها خلق الوفاء .

لقد احتضن جبل أحد المسلمين بعد إصابتهم ، حيث وجدوا في تجاويفه وتعاريجه حصونا امتنعوا بها من هجوم العدو ، ولقد عبَّر النبي ﷺ عما أفاده ذلك الجبل المسلمين بالمحبة ، ثم عبر بمحبة المسلمين ذلك الجبل عما خالط نفوسهم آنذاك من الغبطة والسرور بامتناعهم من المشركين بحصون ذلك الجبل المنيعة .

فجبل أحد يحب المسلمين لأنهم لما لجئوا إلى أكنافه حنا عليهم فامتنعوا به ، والمسلمون يحبونه لأنه كان سببا في امتناعهم من الكفار .

فما أدق شعور النبي ﷺ ، وما أبلغ إحساسه ! حيث قارن بين ماكسبه المسلمون من منعة التحصن والاحتماء بذلك الجبل وماأودعه الله تعالى فيه من قابليةٍ لذلك ، فعبر عن ذلك بأرقى وشائج الصلة وهي المحبة .

أفلا يُعتبر هذا الوجدان الحي والإحساس المرهف مثلا أعلى على التخلق بخلق الوفاء ؟ !

ألا وإن الذي يعترف بفضل الحجارة الصماء ويُضفي عليها من

---

(١) صحيح البخاري ، المغازي رقم ٤٠٨٤ ، (٧/ ٣٧٧) .

الأخلاق السامية ما لا يتصف به إلا أفاضل العقلاء لَجدير به أن يعترف بأدنى فضل يكون من بني الإنسان .

وإذا كان وفاؤه ﷺ للجماد قد سَمَى حتى حاز أرقى العبارات وأرقَّها فأخْلقْ ببني الإنسان الأوفياء أن ينالوا منه أعظم من ذلك ، فضلا عن من تجمعه بهم الأخوة في الله تعالى .

* * *

٤٤ - من مواقف شعراء المسلمين في أحد -

لقد جادت قرائح شعراء المسلمين بمناسبة غزوة أحد بأشعار كثيرة عالية ، أشادوا فيها بمواقف أبطال المسلمين ، وهوَّنوا عليهم مصابهم فيها ، ووبَّخوا المشركين على فرارهم في أول المعركة الذي لم يكن له أي مسوغ إلا الجبن والتخاذل ، وأيأسُوهم من التغنِّي بنتائج نصرهم الوهمي بإشعارهم بأن وجود القتلى على أرض المعركة من المسلمين لايعني انهزامهم .

ولقد اخترت للعرض هنا أربع قصائد من أروع ما قيل من الشعر في هذه المناسبة لشاعرين عظيمين من شعراء المسلمين هما حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريان رضي الله عنهما [١] .

١ - قال كعب بن مالك رضي الله عنه بعد أبيات له :

مُجَالَدُنا عن ديننا كل فَخمة
مُدربَّة فيها القَوانس تلمع [٢]

وكل صَمُوتٍ في الصِّوان كأنها
إذا لبست نَهْيٌ من الماء مُترع [٣]

(١) قد رجعت في بيان الغريب من كلمات هذه القصائد إلى كل من « عيون الأثر » لابن سيد الناس ، و« سبل الهدى والرشاد » للصالحي ، إضافة إلى تعليقات الهراس على سيرة ابن هشام .

(٢) الفخمة العظيمة والمراد بها الكتيبة ، ومدرَّبه ، من الدُّربة ، يعني أنهم دربوا للقتال ، والقوانس جمع قونس وهي بيضة السلاح .

(٣) الصموت الدرع التي أُحكم نسجها فلا يسمع لها صوت ، والصوان ماتصان فيه الدروع ونحوها ، والنَّهي مجتمع الماء ، والمترع المملوء .

ولكن ببـــدْر ســـائلوا من لقـــيــتم

من النـاس والأنبـــاء بالـغـــيب تَنفـع

وإنا بأرضِ الخـــوْف لو كـــان أهلـهـــا

ســوانا لقــد أجْلَوا بليل فـاقـشـعــوا [1]

إذا جـــاء منا راكبُ كـــان قـــولِه

أعـدُّوا لما يُزجِي ابن حــرب ويجـمعُ [2]

فــمــهــمــا يُــهمُّ الناس مما يكيــدنا

فنحنُ له من ســـائر النـاس أوسع [3]

فلو غـيـرنُا كـانت جـمـيعًـا تكيـده الـ

بـــرية قـــد أعْطوا يدًا وتـوزعـــوا [4]

---

(١) أقشعوا : فروا وزالوا ، وهذا تعبير عما يعانيه المسلمون في المدينة من حياة الخوف والرعب ، حيث تعاديهم أكثر القبائل المحيطة بهم ، إلى جانب عداوة اليهود والمنافقين داخل المدينة ، فهذا الوضع الصعب لايستطيع البقاء عليه إلا الأبطال العظماء الذين نذروا أنفسهم للجهاد واستعدوا للموت .

(٢) ابن حرب هو أبو سفيان ، وهذا تصوير بليغ لحالة الخوف التي تساورهم من هجوم المشركين من أهل مكة عليهم .

(٣) يقول : إن أعداءنا قد جعلوا شغلهم الشاغل وهمهم الغالب في أن يدبروا المكائد للقضاء علينا ، وفي سبيل ذلك يبذلون أموالا طائلة لكسب ود القبائل وإثارتهم علينا ، بينما نحن في سعة بال وطمأنينة عيش لأننا متوكلون على الله تعالى ، واثقون بنصره أولياءه في النهاية .

(٤) نعم فلو صُبَّت هذه المصائب على غير المسلمين لاستسلموا لأعدائهم وتفرقوا في البلاد ، لأنهم غير موصولين بالله تعالى ، وإنما ينظرون للأسباب المادية وحدها .

نجـــالد لاتُبـــقي علينا قـــبـــيلة

من الناس إلا أن يهـــابوا ويفظُعـــوا (١)

ولما ابتنوا بالعِـــرض قـــال سَـــراتنا (٢)

عـــلامَ إذا لـم نمنـع العـــــرضَ نزرع

وفـــينا رســـول الله نَتْـــبع أمـــره

إذا قـــال فـــينا القـــول لانتطلع

تـدلّـى عـليـــــه الرُّوحُ من عـنـد ربّـه

يُنزَّل من جـــو الســـمـــاء ويُرفع

نشـاوره فـيـمـا نُريد وقـصْـرُنا (٣)

إذا مـــا اشـتـــهى أنا نطيع ونســـمع

وقـــال رســـول الله ﷺ لما بَـدوا لـنـا

ذرُوا عنكم هـول المنيَّـات واطمـــعـوا

وكـــونوا كـــمن يشـــري الحـــياة تقـــرّبا

إلى مـلك يُحـــيـــا لَدَيه ويُرجـع

---

(١) فالقبائل لاترتدع عن ظلم المسلمين والاعتداء عليهم إلا بقوة المسلمين في الجهاد وصبرهم على الجلاد ، فيرتدعون هيبة من المسلمين ورهبة منهم لاخضوعا لمكارم الأخلاق .

(٢) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم وهي الخيام ، والعرض بكسر العين مكان بين المدينة وأحد ، وسراة القوم أشرافهم .

(٣) قصرنا أي غايتنا .

ولكن خُذوا أسيافكم وتوكلوا
على الله إن الأمرَ لله أجمع

فسرنا إليهم جهْرَةً في رحالهم
ضُحَيّاً علينا البيض لانتخشع (١)

بملمُومة فيها السَّنَوَّر والقَنا
إذا ضَربوا أقدامها لاتُورَّع (٢)

فجئنا إلى موج من البحر وسطه
أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقنَّع

ثلاثة آلاف ونحن نصيَّةٌ
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع (٣)

نُغاورهم تجرى المنية بيننا
نُشارعهم حوضَ المنايا ونَشْرع (٤)

---

(١) البيض الدروع والسيوف ، والتخشع الخضوع والذل .

(٢) ملمومة أي كتيبة مجتمعة ، والسَّنَوَّر السلاح ، والقنا الرماح ، وتُورَّع أي تكف .

(٣) النَّصيَّة الخيار من القوم ، وقوله ثلاث مئين الخ على التقريب وإلا فإنه قد ثبت في الروايات السابقة أن عدد المسلمين الذين شاركوا في المعركة ستمائة وخمسين إضافة إلى خمسين من الرماة الذين رابطوا فوق الجبل ، ويحتمل أن كعب بن مالك عد المقاتلين الأشداء ولم يعتبر الشيوخ والغلمان .

(٤) نغاورهم أي نتبادل معهم الغارة ، ونشارعهم حوض المنايا ونشرع أي نوردهم حوضها ونسقيهم منه .

تهادَى قسيٌّ النبع فينا وفيهمُ
وماهو إلا اليثربي المقَطَّع (١)

ومنجوفةٌ حِرْمَّيةٌ صاعدَّيةٌ
يُذَرّ عليها السُّم ساعة تُصْنَع (٢)

تَصُوبُ بأبدان الرِّجال وتارةً
تَمُرُّ بأعراض البصار تَقعقع (٣)

وخَيلٌ تراها بالفضاء كأنها
جَرَاد صَبًا في قَرّة يَتَرَيَّع (٤)

فلمَّا تلاقَيْنا ودارت بنا الرَّحى
وليس لأمْر حَمَّه الله (٥) مَدْفع

ضَربناهُم حتى تركنا سَرَاتهم
كأنهمُ بالقاع خُشْب مصَرّع

---

(١) تهادى أي تتمايل ، وقسي جمع قوس ، والنبع شجر تصنع منه القسي ، واليثربي هي الأوتار تنسب إلى يثرب .

(٢) المنجوفة السهام العريضة النصل ، وحِرميَّة منسوبة إلى أهل الحرم ، وصاعديَّة منسوبة إلى صانع اسمه صاعد .

(٣) تصوب : تقع ، والأعراض : الجوانب ، والبصار : بكسر الباء نوع من الحجارة ، وتقعقع : يظهر لها صوت .

(٤) الصبا : الريح الشرقية ، والقرَّة : البرد .

(٥) حمَّه الله : قدره وقضاه .

لَدُن غـدوةً حـتى اسـتـفـقنا عـشـيـة
كـأنّ ذكَـانا حـرّ نار تَلفَّع[١]

وراحـوا سـراعًـا مـوجـفين كـأنهم
جَـهـامٌ هراقت مـاءَه الريحُ مُـقلع[٢]

ورحـنا وأُخـرَانا بطاءٌ كـأنَّنا
أُسـودٌ على لحم ببـيـشـة ظُلَّع[٣]

فنلـنا ونال القـومُ منا ، وربما
فـعلنا ، ولكن مـالدى الله أوسع

ودارتْ رَحـانا واسـتـدارت رَحـاهم
وقـد جَـعلوا كلٌّ من الشـرّ يَشْـبع

ونحن أُناس لانرى القـتل سُـبَّـةً
على كلّ مَن يحـمي الذّمـار ويمنعُ[٤]

جِـلادٌ على رَيب الحَـوادث لاترى
على هالك عَـينًا لنا الدَّهر تدمَع[٥]

(١) الذّكا الالتهاب في الحرب ، وتلفَّع أي يشتمل حرها على من دنا منها .

(٢) موجفين أي مسرعين ، والجهام السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء .

(٣) بيشة واد في الحجاز يشتهر بالأسود ، وظُلَّع أي مائلون .

(٤) الذمار : ما يجب على الرجل أن يحميه ، يُبيِّن في هذا البيت أن سقوط الشهداء من المسلمين لا يُعتبر سُبَّة عليهم ، ولايَعني انهزامهم ماداموا معتصمين بمبادئهم المقدسة التي آمنوا بها وقاتلوا من أجلها .

(٥) جلاد : جمع جَلْد وهو الصبور ، وريب الحوادث مصائبها . فالمسلمون لايكون =

بنو الحرب لانَعْيا بشيء نقوله
ولانحن مما جَرَّت الحربُ نجزَع[1]
بنو الحرْب إن نظْفر فلسنا بفُحَّش
ولانحنُ من إظفارها نَتوجع[2]
وكنَّا شهابا يتَّقى الناسُ حرّه
ويُفرجُ عنه من يَليه ويَسْفع[3]

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مُجَالَدُنا عن جذْمنَا [4] كلّ فخمة

= شهداءهم حسرة عليهم وأسفا على موتهم لأنهم يعلمون أنهم قد قدموا على خير مما هم فيه وأنهم سيلتقون معهم في حياة أخرى .

(١) نعيا : أي نعجز ، المعنى أننا إذا قلنا شيئًا فنحن قادرون على تنفيذه ، ثم يبين أن المسلمين لايجزعون من المصائب التي تجرها عليهم الحرب ، لأنهم يعلمون أنها بقضاء الله تعالى وقدره ، وأنهم إذا صبروا عليها فلهم أجر عظيم .

(٢) في الشطر الأول يبيِّن كعب بن مالك رضي الله عنه مبدأ إسلاميًا عاليا في شئون الحرب ، وهو أن المسلمين إذا غلبوا لم يبطروا ولم يتكبروا على الناس ولم يتجبروا عليهم ، بل يظلون مستقيمين على مكارم الأخلاق ، وقد سبق لنا صورة من معاملة الصحابة لأسرى بدر بناء على توصية النبي ﷺ حيث لم يقتصروا على مساواتهم بأنفسهم في المأكل بل آثروهم بأطايب الطعام .

وفي الشطر الثاني يبين أن المسلمين يتجمَّلون بالصبر على شدائد الحروب ، وبهذا الصبر العظيم بلغ الصحابة رضي الله عنهم ما بلغوا في الفتوحات الإسلامية .

(٣) يصف شجاعة الصحابة رضي الله عنهم بأن الواحد منهم يشبه شهابا من النار يتقيه الناس ويفسحون له ليَمُرّ ، ومن أصابه أحرقه وغيَّر لونه .

(٤) أي عن أصلنا .

فقال رسول الله ﷺ : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسول الله ﷺ : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا (١) .

وهذا مثال على اهتمام النبي ﷺ بتربية أصحابه على الانتماء الديني بدلا من الانتماء القبلي ، فالدفاع ليس هو عن القبيلة أو الوطن وإنما هو عن الدين ، ويكون الدفاع عن القبيلة والوطن تبعا لم يقصد لذاته .

وفي هذا مثل من لطف النبي ﷺ وسُمُوٌّ تعبيره في النقد حيث عرض ما يريد عرضا ولم يأمر به أمرًا .

٢- وقال كعب بن مالك أيضًا :

أبْلـغ قُـريشًا علـى نأيها ... أتفخـر منـا بما لـم تَلي
فَخَـرتم بقَتلى أصابتـهـمُ ... فواضلُ من نعَـم المُفضل
فَحَـلُّوا جنَانًا وأبـقوا لكـم ... أُسُودًا تحامي عن الأشْبل
تقَاتل عن دينها ، وَسطَـها ... نَبيٌّ عن الحـقّ لـم ينكل
رَمتْـهُ مَعَـدٌّ بعُـور الكـلام ... ونَبْل العـداوة لاتـأتلي (٢) (٣)

في هذه القصيدة يوبخ كعب بن مالك الكفار من قريش على افتخارهم بنتائج معركة أحد ، ويبين لهم أنهم لم يحصلوا على النصر الحقيقي ، وإنما هي فرصة من تقصير بعض المسلمين انتهزوها ، ثم أوقفوا

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١١٠ - ١١٤ .

(٢) عور الكلام قبيحة ومستهجنه ، ولاتأتلي : يعني لاتقصِّر .

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ١٤٩ .

المعركة ورجعوا على أعقابهم حتى لايهزموا ويضيع منهم ذلك النصر المتوهَّم .

ويبين لهم أن قتل من يُقتل من المسلمين ليس مما يفتخر به الأعداء ، لأن الشهادة نعمة يتفضل بها الله سبحانه على الشهداء ، وأن من بقي من المسلمين لم يحزنوا عليهم لأن كل واحد من الباقين يتمنى أن يكون قد نال الشهادة ، وإنما الذي يحق له الفخر هم المسلمون إذا قتلوا من أعدائهم لأنهم يكونون قد أصابوهم بفاجعة عُظمى يظل الكفار في أساها وحزنها دهرًا طويلاً .

ثم يبين أنهم إن قَتلوا عدداً من المسلمين فإنهم قد أبقوا أسوداً لايُرام جنابُها ، تقاتل عن دينها وأبنائها بقيادة نبي عظيم ثابت على الحق ﷺ لم يتخلف عن أداء الواجب .

٣ – قال حسان بن ثابت رضي الله عنه بعد أبيات له :

تلك أفعالنا وفعل الزِّبَعْرَى[١]
خاملٌ في صديقه مذمُوم
ربّ حلْمٍ أضاعه عدَم الما
ل ، وجَهْلٍ غَطَّى عليه النعيم

(١) هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى أحد شعراء المشركين في مكة ، وله قصائد في هجاء المسلمين والافتخار بقومه .

لاتسبَّنَّني فلست بسبِّي[1]
إنّ سبِّي من الرّجال الكريم
ما أُبالي أنَبَّ بالحزْنِ تيْسٌ
أم لحاني بظهر غيب لئيم[2]
ولِيَ البأسَ منكم إذْ رحلتم
أسرةٌ من بني قصيّ صميم
تسْعة تَحْمل اللواء وطارت
في رعاع من القَنا مَخْزوم[3]
وأقامُوا حتى أبيحوا جميعًا
في مقام ، وكلهم مذموم[4]
بدم عاتك ، وكان حفاظًا
أن يُقيموا ، إن الكريم كريم[5]
وأقامُوا حتى أزِيروا شَعُوبًا
والقَنا في نُحورهم مَحْطوم[6]

(١) أي لست أهلا لأن تكون نداً لي في الهجاء .

(٢) نبَّ أي صوَّت والحَزْن المرتفع ، ولحاني أي هجاني .

(٣) يعرِّض بكفار مكة إذ لم يحموا لواءهم حيث قتل سبعة منهم ثم آل أمره إلى مولى لهم ثم إلى امرأة ، كما يعرض بقبيلة مخزوم ويصفهم بالجبن والضعف حيث فروا ولم يواجهوا الرماح .

(٤) أبيحوا أي استؤصلوا .

(٥) دم عاتك : أي شديد الحمرة ، والحفاظ : الحمية .

(٦) شعوب اسم من أسماء الموت .

وقُــــــرَيش تـفــــــرّ منـا لـواذًا

أن يُقـيـمـوا وخَفَّ منهـا الحلوم

لـم تُطِقْ حـمـله العـواتق منهم

إنما يَحمـل اللـواء النجـوم[1][2]

٤ - وقال حسان بن ثابت أيضًا :

سُـقـتم كنانة جـهـلا من سـفـاهتكم

إلى الرسـول فـجند الله مـخـزيهـا[3]

أوردتمـوها حـيـاض الموت ضـاحـيـة

فـالنار مَـوعـدها ، والقـتل لاقـيـها[4]

جـمَّعـتـمـوها أحـابيـشًـا بلا حَـسَب

أئمـة الكفْـر غَـرَّتكم طواغـيـهـا[5]

---

(١) العواتق النساء ، يعرِّض بالمشركين حيث تركوا لواءهم لامرأة تحمله وفروا عنه ، والنجوم السادة الأشراف .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ١٣٣ .

(٣) سقتم كنانة : يخاطب كنانة ويريد بذلك قبيلة قريش .

(٤) ضاحية : أي بارزة للشمس .

(٥) الأحابيش الأخلاط من قبائل شتى ، والطواغي جمع طاغي وهو العاتي المتجبر .

ألا اعـــتـــبـــرتم بخـــيْل الله إذ قَـــتَلَت
أهلَ القَليب ومَن ألْقَـــينه فـــيــهـــا [1]
كـم مـن أســــــيـــــــر فـكَكْنـاهُ بلاثَـمَن
وَجَـــزِّ نـاصـــيـــة كـنـا مَـــوَاليـــهـــا [2][3]

في هذه القصيدة يشيد حسان بن ثابت رضي الله عنه بشجاعة المسلمين ، حيث استطاعوا أن يقتلوا حملة لواء المشركين ، ويُوبِّخ المشركين ويصفهم بالجبن حينما لم يستطيعوا حماية لوائهم حتى كان في النهاية بيد امرأة منهم ، وولَّى أشرافهم وتركوه ، وفي هذا الهجاء تذكير للمشركين بمواقف الذل والجبن التي تعرضوا لها في بداية المعركة حتى لايغتروا بما حصل في نهايتها من إصابة المسلمين .

ولقد أصاب حسان من المشركين مقتلا حينما عيرهم بالتخلي عن اللواء وإقدام امرأة منهم على حمله ، وهذا يتضمن وصفهم بالجبن الشديد حيث أقدمت امرأة على ما نكلوا عنه .

* * *

تم بحمد الله هـذا الجـزء ويليه الجـزء السادس

وأوله مواقف وعبر بين أحد والخندق

---

(١) خيل الله : أراد جند الله ، وأهل القليب هم القتلى من زعماء المشركين يوم بدر الذين ألقاهم المسلمون في إحدى الآبار .

(٢) جَزُّ شعر الناصية يفعله العرب إذا اطلقوا أسراهم تكرما منهم عليهم .

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ١٠٩ .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة